

الطبعة الثاني

فريدريك نيتشه

عدو المسيح

ترجمة: جورج ميخائيل ديب

مقدمة من المترجم

أتعلّم من الكثيرين ولكن لا أثق بأحد.

إنّـــي ولئن كنت اليوم ما أزال أعدّ نيتشه أجرأ ذهنيّة وجدت على الأرض، وأقوى عقليّة قيّض لنا أن نسمع صوتها، فإنّ ذلك لـــيس عـــن اختـــيارٍ محض فلسفي أو ذاتيّ. إنّه ناتج تقديري لداروين وعلماء الطبيعة والفلك قبله وبعده. ولكن أليس انحيازاً، هـــنا أو هناك، لرجل؟ الأمر مختلف جدّاً. حين تؤمن بمؤسس مذهـــب أو فلســـفة فهذا أمرٌ يتعلق بمنحى، بتوجّه، بمقولة ذلك الـــرجل ذاتـــه، أمّا مع العلم، فإن الرجل ليس غير مكتشف، لا صاحب نظرية أو مذهب عقيدي. داروين ليس غير اسم لتعيين



حالـــة طبيعيّة هو اكتشفها. لسنا نؤمن به بل بالحقائق الطبيعيّة [ومن المؤسف أن تُسمّى إلى اليوم نظريّة داروين!].

الوجهـــة الفلســفيّة للمـــرء ـــ روحانيّة أو عقلانيّة ـــ تحدّد الفيلســـوف أو الفلاسفة الذين يعدّهم الأفضل. بارتلمي سانتهلر لـــيس صدفة، إذ يقدّر أفلاطون ككبير فلاسفة اليونان، أن يقدّر "كـــانط" حديـــثاً بوصفه أفلاطون الفلاسفة المحدثين! إنّه التوجّه الروحيّ مهما اتّخذ من شكل.

أقـــول إذاً، إنني وإن كنت أعدّ نيتشه أقوى تعبير عن الفكر الحـــرّ ـــ اللاديني والمناهض للميتافيزيقيا والمحبّ للأرض ـــ فإننـــي منذ سنين قليلة قد ألقيت ثقله عن ظهري كعقلية صائبة بالكليّة وبغير أخطاء.

صـــباح يوم من أيّام مايو، السنة الأخيرة من الألفيّة السالفة بحسب التقويم الزائف ـــ بتعبير نيتشه الرائع نفسه ـــ وأنا أنظر مـــن نافذتـــي إلـــى الجـــبال المحيطة بكاراكس وكلّها خضراء وأعاليها محجوب بالضباب، متأملاً في الطبيعة والمدنية وتطوّر الإنســـان، تبدّى لي أنّ إنسان نيتشه أقرب إلى الإنسان الحربي مـــنه إلى الإنسان العقلاني. سوف تلاحظ ذلك بقوّة في الفصول الأولى من هذا الكتاب.

فكيف ـــ كنت أسأل نفسي ـــ كيف أمكن للإنسان المتفوّق أن يكون قد ظهر ـــ وإن في لمحات في الماضي ـــ ونحن نعرف أنـــنا إلـــى اليوم لم نزل نشكو من وهن معرفي، ليس بمكتمل الـــتكوّن؟ الإنسان الراقي ليس طفرة أو ضربة حظّ، بل مرتهن بدرجة تطوّر المجتمع.

نفهم في العمق هذا الإنسان ومقصد نيتشه منه: قويّ جريءٌ ليس بهياب، محبّ للحياة، كأنّه من أتباع ديونيس وغير مسيحيّ بالمـــرّة ـــ وهـــذا الضعف المسيحي هو الأمر المهمّ الذي دفع بنيتشه إلى هذا التطرّف مع إنسانه المتفوّق ـــ أجل غير مسيحي بالمـــرّة، لـــيس بمشـــفق ولا شاندالا، وليس في صفّ الواهنين والعجزة ونعجات القطعان.

يكـــره نيتشـــه حضـــارتنا الحديثة الرعاعية، وكثيراً ما يذمّ العلماء (انظر ما وراء الخير والشر، وزرادشت) بينما حضارتنا الحديـــثة بعلومها واكتشافاتها هي بذاتها من هيّأ له في الأساس، وعـــبر ديمقراطيتها، أن يعلن ((أن الله قد مات)). لقد كان هو المعـــبّر الاســـميّ لما قرّره علم الفلك قبله ـــ مثلاً لابلاس مع بونابرت ـــ وقرّره وولاس وداروين.

يـــتطوّر الإنســـان ليكون قويّاً بطريقة أروع (فإنّ ما صدق لقرون خالية بما يقرّره ابن خلدون قد سقط الآن، والمدنية تتيح

القـوّة بطـريقة تختلف عمّا كانت تصيب به القدماء من وهن جسدي، فالمعركة اليوم معركة ذكاء لا جسد) يتطوّر ليكون لا مسـيحياً، بعلومــه ورأسماليته وتثمينه للأرض، دون أن يكون نسخة عن وثنيين شرفاء. فالتاريخ لا يعيد نفسه.

الإنسان المتفوّق ربّما يكون غداً، كما تدلّ منظورات علمية مسـتقبلية كثـيرة، لا بيولوجيّاً جينياً فقط، بل سيليكونياً، وبديل سيليكون آتٍ.. سوف لن تكرّس أبدع الصفات المنتخبة في أفراد معدّليـن، ومن جهة الجسد فحسب، بل وكذلك الصفات العقليّة مدعّمـة بقدرة كمبيوترية! الإنسان القادم سيحوي صفات الغابة والمدنـية، صفات الجسد الرائع والرقي الدماغيّ.. في الجنس والجمـال والذهـن. والعقل في ذلك كلّه هو الأساس، لكن مع تخوّف دائم من حشوه بخرافاتنا الحالية وبالأخصّ الدينيّة.

لكنّ النقطة المهمّة أنّ نيتشه يفتقد حوله النبالة، ويشتكي من الرعاعيّة وعدم وجود النظام التراتبي الذي يعدّه طبيعيّاً. ولأجل ذلـك يمتدح قانون مانو وتراتبيّة الهند إلى حدٍّ يجعله يقرّر أنّ الطـبقة ليست اختياراً بل طبيعة، وهو في هذا يغالي أكثر من أفلاطـون حيـن يـتحدّث عـن عـروق الذهب والنحاس في جمهوريته.

مـع ذلك لا يمكن لنظام النبالة والتفوّق والتفريق أن يندثر، فالـنوع الأرقى من الديمقراطيّة يتيح الفرص للتباين والتفوّق. وعلـى نطـاق كبير فإننا نلاحظ اليوم طبقات أمميّة: عالم أوّل وعالم ثالث، وربّما دول شاندالا ومتبوذين. إنّ سقوط الشيوعية له دلالته هنا.

•••

شيءٌ في نيتشه اسمّيه الاندفاعة العاطفيّة.

مـثلها من أوقعه في هوّة العَود الأبدي الموجود عند اليونان وكذلك عند الطاوية.

وإننا نعلم اليوم أنّ الكون دائم التمدّد وليس ثمّة انكماش.

ومـثل هـذه الاندفاعة العاطفيّة هو ما دفعه إلى موقفه الذي يُفهـم من خلاله يسوع بوصفه مثال المحبة والرأفة والمسامحة خالصة.

لقد كنت وضعت في هذا الكتاب هوامش كثيرة تمثّل ردوداً علـى آراء عديدة فيه، ثمّ ألغيتها مستعيضاً عنها بإشارات قليلة فـي هـذه المقدمـة. إذ بدت لي طريقة الردّ على الكاتب في الهوامـش طـريقة أبعد ما تكون عن الذوق، وتحيل كتابه إلى

نقاش فلا يبقى طرحاً. إنّها تقحم ذاتاً أخرى متطفّلة في مملكة الكاتب نفسه وتجعل من كتابه ساحة تنازع، فتعكّر تسلسله وخصوصيته الأصليين.

وإذاً تجاه يسوع أقول هنا إنّ فهم نيتشه له هو فهم تعسفي، لا يقرأ الأناجيل كفايةً ليجد يسوع التاريخي. في النبذة 32 مثلاً يذكر عن يسوع عبارات هي في التحليل النقدي منحولة.

لقد اقتضاني البحث عن حقيقة يسوع سنوات وفي يدي الآن مخطوط عن ذلك، خلاصته أن يسوع داعية يهوديّ بامتياز، وحتّى وصفه الكنعانيين بأنهم كلاب ولو عددته منحولاً عليه فإنّه يعبر عنه، بينما المناقض بإرسالهم إلى الأمم هو معاً منحول ولا يعبّر عنه. ولا ننسَ طلبه من تلاميذه اقتناء السيوف وتأكّده من وجود بعضها معهم، وكذلك يأسه المريع على الصليب وإدراكه أنّه قد انتهى وأنّ الله قد تركه، وقبله تخفيّه الدائم الذي هو علامة مميّزة كخطّ أحمر في الأناجيل، واختباؤه في جبل الزيتون قبيل القبض عليه، مع طلبه من تلاميذه أن يبقوا مستيقظين ويحرسوه.

كلّ ذلك محوّر طبعاً ومبطّن بدلالة دينيّة مجتلبة، لكنّ من يعرف القراءة على النمط الذي يطلبه نيتشه نفسه فإنّ الأمر واضح.

اندفاع نيتشه الحماسي دفعه كذلك إلى تكريم قانون مانو، والإسلام من خلال الإعجاب بملمح أرضيّ فيهما. وعندما يقول في النبذة 60 أنّ العالم الرائع للأندلسيين قد غُمر فخُرمت منه أوروبا، يتجاهل أنّ ذلك الغمر كان في اندفاعة الأوروبيين إلى الكشوف والفتوحات والنهضة، ممّا عُدّ في خلاصته تحرّراً من المسيحيّة وانتهاء للعصور الوسطى، التي هي عصور المسيحية في الغرب.

* * *

إنّما إذا انتقلنا الآن إلى صميم فكرته: فإنّه ضدّ هذه الكهنوتيّة اليهودية الماورائية الضاغنة على النبالة والتفوّق. إنها فكرة نبيلة ما تزال حاضرة الصوت إلى اليوم، وبقوّة.

وإنها دعوة إلى محبة الأرض، ودعم كلّ قويّ وعزوم ونيّر في الحياة... وكره كل ما هو كهنوتي وطقوسي وروحانيّ.

فيا للجوّ النقيّ الذي أحببته دوماً، حيث لا انفصام ولا تمزّق بين عالمين.

أنا واحدٌ من هؤلاء الذين كان يتطلّع إليهم دوماً، والذين يقول عنهم في المقدّمة من هذا الكتاب، إنهم الذين سيفهمون زرادشت، أولئك المولودون فيما بعد؟

إذ كنت أظنّ ذلك فإنّي بالتالي أتساءل هل نحن كثرٌ، وبالأخص في هذه المنطقة من العالم؟ أخشى الجواب بلا. فوق ذلك، وبفضل نيتشه وعلماء الطبيعة والفلك، وكما هو مفهوم بل مرجوٌّ تاريخياً وحضارياً، نحن اليوم وفي أمور تفصيلية كثيرة نتجاوز نيتشه.

***

لكن لماذا أترجم هذا الكتاب؟ لأنّ الكثيرين ـ والعدد الأكبر بحسب تعبير نيتشه ـ لم يزالوا يعيشون في الزمن الذهني السابق عليه، بل البعيد جداً عنه إلى الوراء.

لا لأولئك الصرحاء المقدامين الناظرين بإخلاص تام إلى الأمام أقدّم هذا الكتاب، فهؤلاء قد صاروا بغنية عنه، بل إلى أولئك المترددين، وأولئك الناظرين إلى الوراء حيث يظنون العصر الذهبي مع أسلافهم ودُعاة معتقداتهم.

يعيش الكثيرون في تناقض آخر غير الماديّ والروحي، هو الحاضر والماضي، هؤلاء يمشون متراجعين وبظهور إلى المستقبل!

لو كان الأمر أمرَ نقضٍ للمسيحية فحسب، لما كان بالغ الجدوى نشرُ هذا الكتاب وفي بلادٍ عموم ساكنيها مسلم. لكن من

ورائه أريد أن أضع بين يديّ القارئ، وليس فقط بين يديه، بل في عقله إن أمكنه، منحىً مختلفاً في الرؤية التاريخيّة يقدمه فيلسوف كبير، كما أريد أن أوضح أنّ تقدم الغرب قد أتيح ـ وعبّر عنه معاً ـ بأمور كثيرة منها إتاحة المجال للآراء العقلية وإفساح المدى الوسيع للنقد الديني وفصل الدين عن الدولة. ثمّ إنّ نقد نيتشه للمسيحية يقوم على نقد اليهودية بالذات.

قد يقال إنّ المسيحية تحمل إمكانية من المرونة أكثر ممّا في الإسلام كونها ليست شريعة، وقد يكون هذا نظرياً فيه شيء من الصواب، لكن لا أحد يحدثني عن الواقع. فإنّ كلّ ديانة واحديّة هي تعصّب لإيمان، ولا ننسَ محاكم التفتيش وقتل برونو ومحاكمة غاليليو والعنف الديني في فرنسا وبريطانيا لمّا بدا أن الكنيسة في الواقع تتعرّض للهجوم.

لقد كانت المسيحية عقبة بدورها، وتقدّم أوروبا بدءاً من عصر النهضة يتماهى مع تقهقر المسيحيّة.

لعلّ أقدمية المسيحية على الإسلام بست مئة سنة، أهْرَمَها، ومكّن منها أوروبا. ولكن ما أعرفه أنّ هذا المنحى عبثي، فنشوء واضمحلال ديانة يتعلق بالمجتمع وتطوّره وبشبابه أو هرمه. فهل نستفيد من التراث النقدي تجاه المسيحيّة؟

إنّ كل امرئ يحب ولده بأكثر من محبته لأبيه، لأنه المستقبل، وجلّ ما أخشاه هنا، وفي هذه القضايا البالغة الوسع والأهمية، أنْ نفعل العكس.

***

فيما يختصّ بالترجمة فقد ترجمت هذا الكتاب عن ثلاث ترجمات مختلفة للكتاب باللغة الإسبانية. وكنت ملتزماً للتدقيق البالغ بمقابلة كلّ عبارة على النسخ الثلاث.

وأمّا الهوامش فهي فقط تفسيرية للمساعدة على جلاء النص. علامة [P] تدل على هوامش الترجمة الإسبانية الصادرة عن Panamericana في بوليفيا، ترجمة مارتا ميزاروس وتقديم وهوامش رافائيل جيراردوت، وهي طبعة غنية بالمعلومات والصور.

أمّا بقية الهوامش فهي لي. مع الإشارة إلى أنّ نيتشه لم يضع أية هوامش.

مقتطف من مقدمة الترجمة الإسبانية
التي وضعها رافائيل جيراردوت

العنوان الأصلي للأنتي كريستو (Der Antichrist) هو على ما يظهر واضح. ترجمته الإسبانية تتبع الصورة المعادية ليسوع والموجودة في رؤيا يوحنا[1]. والعنوان الفرعي ((لعنة

---

[1] إنّ كلمة "ضدّ المسيح" لا توجد إلا في رسالتي يوحنا الأولى والثانية (1 يوحنا2:18،2:22 و3:4.. و2 يوحنا7) والرؤيا لا تذكر حرفيّاً هذه الكلمة، ولكن واضح ممّا تصفه أنّها ترسم صورة أشمل من الرسائل لضدّية المسيح بحيث محاربة "القديسين" ولعن الله وسجود الأكثرين للضد. وهذا ما يذكره نيتشه ويريده مع استخدام تلك الكلمة من الرسالتين. (تعليق من المترجم إلى العربية)

ضدّ المسيحية))، وأيضاً مضمون العمل، لا يغطيان بالكليّة هذا الإيحاء، وإنما يضعان عدّة إشارات أخرى توضح المقصد، كما أنهـــا في ذات الوقت تعطي كثافة وتعقيداً يحجب النبرة الجدلية للعنوان.

في كتابه ((هذا هو الإنسان)) كتبَ نيتشه: ((أنا "ضدّ الحمار بامتياز" ومعه أنا وحشٌ تاريخيّ عالميّ، أنا في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط، ضدّ المسيح)) (IV,2). في "ضدّ الحمار" يشير نيتشه إلى فصول "البعث" و"عيد الحمار" في الجزء الرابع مـــن زرادشت، والتي يصوّر فيها ((الناس الراقين، والذين هم الملكان، والبابا المعتزل، والساحر اللعين، والمتسول باختياره، والســـائح الحـــاج والظلّ، والعراف القديم، والمتأثّم في الروح، وأقبح العالمين)) يصورّهم وهم راكعون يعبدون الحمار: هذا هو "إلهـــنا". ولدى صيرورته ((ضدّ الحمار بامتياز)) يكون نيتشه ضدٌ ـــ إله أولئك ((الناس الراقين)) وكذلك ((وحش تاريخي ـــ عالمـــي))، وهـــذا هو ((حيوان له عشرة قرون وسبعة رؤوس وعلـــى قرونه عشرة تيجان، وعلى رؤوسه اسم تجديف)) كما تصف الرؤيا (فصل 13:1) ضدّ المسيح.

لكنّ عبارة ((أنا في اليونانية..)) تشير إلى معنى آخر لكلمة حمـــار، إلى المعنى الإيجابي، أي إلى المعرفة التي يمتلكها هذا

الحـــيوان فـــي عـــبادة ديونيسيوس. لقد كان الحمار بعد الثور والتيس، الحيوان الثالث المختار من ديونيسيوس.

فديونيســـيوس وخاصتـــته كانوا يمتطون الحمير، ونهيق هذه الحيوانات كان يسبب رعباً للأعداء فيبادرون إلى الهرب.

فـــي العبارة الملغزّة بدئياً ((أنا، في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط)) يتطابق حمار زرادشت بوصفه ضدّ ـــ إله أولئك ((الـــناس الراقيـــن))، مـــع ضدّ ـــ المسيح الرؤيوي، الذي هو ((الوحـــش التاريخـــي العالمـــي))، ومعهما حمار ديونيسيوس بوصفه ضدّ ـــ مسيح جدلياً، بامتلاكه سمة صوت صارخ متّحدٌ، فـــي السطر المعروف الذي كتبه نيتشه في لحظة نشوة ذاهلة: ((ديونيسيوس ضدّ المصلوب)).

الوحش هو ((عالميٌ تاريخياً)) ليس لأنه في صورته وفكرته هذه يكرّر الصورة الرؤيوية، بل لأن نيتشه بعمله الجدليّ يدشن عصـــراً جديداً في التاريخ العالمي، ويفتح الأبواب على فلسفة المستقبل الديونيسية. ((ضدٌ ـــ المسيح)) هكذا ((Elanticristo))، هو ضدّ ـــ المسيحيّ ((Elanticristiano)).

مقدّمة

هذا الكتاب ينتمي إلى القليلين... الذين لعلّ أحداً منهم لم يولد إلى الحياة حتى الآن.

ولعلّهم أن يكونوا أولئك الذين سيفهمون زرادشتي.

كيف أملك أن أخلط ذاتي مع أولئك الذين يُستمع إليهم اليوم؟!

الغدُ وحده هو الذي يخصّني، وبعض المولودين فيما بعد.

تلـــك الظروف المقتضاة للفهم، والتي بموجبها يُمكن أن أُفهم بالضرورة، أنا أعرفها حقّ المعرفة:

يجــب أن يكــون المــرء نزيهاً حتّى الصرامة في الأمور الروحــية كــي يتمكّن من احتمال جدّيتي واندفاعي.. عليه أن

يكون متمرساً على الحياة فوق الجبال ليرى في الأسفل النمائم البائسة حول السياسة وأنانيّة الشعب.. يجب أن يغدو غير مبالٍ، وألاّ يكون ثمّة سؤال أبداً إن كانت الحقيقة ذات نفع، لو أنّها تنقلب شؤماً على أحد.

يجب أن تُحاز قوة الميل إلى الأسئلة التي لا يملك أحد الشجاعة اليوم كيما يعرضها؛ الشجاعة تجاه الأشياء الممنوعة، وضرورة التهيّؤ للمصاعب.. من العزلة يجب أن تكوّن خبرة.

مستمعون جدد يجب أن يوجدوا لأجل موسيقا جديدة... عيون جديدة ترى ما هو أبعد.. ضمير جديد لأجل حقائق حتّى الآن هي بكماء، وإرادة اقتصاد من نمط كبير.. المحافظة على القوى الذاتيّة والحماسة الخاصّة... يجب أن يكون ثمّة احترام للذّات، ومحبّة للذّات، وحريّة غير مقيّدة تجاه الذات.

حسنٌ إذاً! هؤلاء المطرقون هكذا هم فقط قرّائي، قرائي الأخصاء، قرّائي المختارون:

أية أهمية للآخرين، الآخرين الذين لعلّهم كلّ البشرية؟

يجب التفوّق على البشرية بالعزم، وبتشدّد النفس.. وبالاحتقار.

FriedrichNietzsche

- 1 -

فلنحدّق في وجوهنا. إننا شماليون[1]، ونعرف معرفة وافية الجزء الذي نحيا فيه.

((لا في الأرض ولا في المياه تصادف الطريق إلى الشماليين)) حتّى "بندار" قد عرف هذا عنّا.

أكثر بعداً من الشمال، ومن الثلج، ومن الموت، ثمة حياتُنا وسعادتنا.

إننا لَنكتشف السعادة، ونعرف الطريق، ونصادف المخرج من ألفيّات كاملة من المتاهة.

من ذا صادفه أيضاً؟ ألعلّه الإنسان الحديث؟

[1] Pindaro , xodapitica 29-30، الشماليون هم طرف العالم.

((لا أعرف ماذا أفعل؟ .. أنا بالكليّة من لا يعرف لا مدخلاً ولا مخرجاً)) هكذا يدمدم الإنسان الحديث متشكياً.

ومن هذه الحداثة نحن مرضى، من السلام المتعفّن، من التسوية الجبانة، ومن الصلاح القذر للنعم وللا الحديثتين.

هذه المسامحة ووسع القلب، التي تعذر الكلّ لأنّها ((تتفهّم)) الكلّ، هي ريحُ الجنوب الشرقي[1] التي تهبّ علينا.

ولأفضل أن يعاش في الثلج من أن يُعاش تحت الفضائل الحديثة، ورياح أخرى من الجنوب.

كنّا شجعاناً كفاية، ولم تكن بنا من رأفة لا بذواتنا ولا بالآخرين، لكن عبر زمن متطاول لم نكن نعرف إلى أين نتّجه ببسالتنا: صرنا معتمين، ودُعينا قدريّين.

مصيرنا كان الامتلاء، التحفّز، وتكديس القوّة، كنّا متعطشين للاندفاع يترامى بصواعقه، وللأفعال، وبقينا الأبعد عن السعادة، سعادة الضعفاء، وعن الاستكانة.

ثمّة عاصفة تهبّ في أجوائنا، وطبيعتنا تُظلم، لأننا لم ندرك أيّ طريق.

---

[1] sirocco لأوروبي هي الرياح الجافّة والحارّة التي تهبّ من صحاري شمالي أفريقية محمّلة بالغبار أو الرمل على جنوب أوروبا ــ وهي استخدام نيتشه لها معنى مزدوج البلاغة.

وصيغةُ سعادتنا: موافقة بنعم، رفضٌ بلا، خطٌّ مستقيم، وغاية.

- 2 -

ما هو الخير؟

إنّه كلّ ما يُربي الشعور بالقوّة، إرادة القوّة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان.

ما هو الشر؟

إنّه كلّ ما يتأتى عن الضعف.

ما هي السعادة؟

الشعور بأنّ القوّة تتنامى، وأن المقاومة تُتجاوز. ليس الرضى، بل قوّة أزود؛ ليس السلام، ولا بأية طريقة، لكنّما الحرب؛ لا الفضيلة، بل الكفاءة ((فضيلة بالمعنى الذي لعصر النهضة[1]. فضيلة بلا "أخلاق ــ سطحيّة زائفة")).

الضعفاء والفاشلون يجب أن يهلكوا:

---

[1] إشارة إلى المفهوم الأساسي عند ماكيافيللي: فالفضيلة هي القوّة الخلاّقة للرجال العظماء الذين عبر هذه الفضيلة وبالتنظيم الحكيم الذي يوطّدونه، يستطيعون رفع مستوى أواسط الرجال.

تلك هي القاعدة الأساسية في حبّنا للإنسان.

وفوق ذلك يجب أن نقدّم لأولئك المساعدة كي يهلكوا.

ما الأكثرية أذيّة من كلّ رذيلة؟

فعل الرأفة تجاه جميع الفاشلين والضعفاء: المسيحيّة.

- 3 -

المشكلة التي أعرضها ليست فيما يمكن للبشرية أن تحقّقه بتتابع الكائنات ((الإنسان غاية)) وإنّما أيّ نمط من الناس يجب أن يُنشّأ، وأن يُرتجى ويُنشد كقيمة عظمى وأكثر استحقاقاً للحياة، وأكثر ضماناً للمستقبل.

هذا النمط الأعلى قد وُجد بتواتر، لكن كحالة من حالات المصادفة، كاستثناء وطفرة وليس أبداً كشيء منشود ومتوقع؛ وبوضوح أكثر، لقد كان المخوف، وكان تقريباً التجسيد لما هو مرعب.

وكضدّ، وكنتاج لهذا الخوف، قد نُشد وخُلّق وحُصّل النمط المعاكس، الحيوان الداجن، حيوان القطيع، الحيوان المريض المدعوّ إنساناً ــ المسيحيُّ

- 4 -

البشرية لا تمثّل تطوراً نحو الأفضل، أو نحو الأكثر قوّة، أو نحو الأرفع، بالطريقة التي تُعتَقد اليوم.

ولعلّ فكرة الترقّي فكرة حديثة، بمعنى فكرة خاطئة.

الأوروبيّ اليوم صار أدنى قدراً من أوروبيّ عصر النهضة. التوسع المتتالي، لا يعني إطلاقاً، ولا بأية ضرورة، تسامياً وتناميا واقتداراً.

وبمعنى آخر مختلف، تحقّقت باستمرار في حالات مفردة، بأماكن مختلفة من الأرض، وحضارات متنوّعة، نتاجاتٌ فيها بالفعل يُعبِّر عن نموذج أعلى: شيءٌ هو بالنسبة للبشرية كلّها إنسان متفوق ((سوبر ــ إنسان)).

وحتى إنّ ذرية كاملة، وجنساً وشعباً، بمكنته أن يُجسِّد، إمّا أتاحت له الظروف ذلك، واحدة من ضربات الحظّ تلك.

- 5 -

يجب ألاّ تزين المسيحيّة أو تُجمّل.

لقد قامت بحرب مستميتة ضدّ هذا النمط السامي من الإنسانيّة، مبطلة كلّ غرائزه الأساسيّة، ومن هذه الغرائز استنبطت ما هو شرّ، والشرّير: الإنسان القويّ كنمط مستهجن ((الإنسان المغضوب عليه والهالك)).

لقد انحازت المسيحيّة إلى كلّ ضعيف ومنحطّ وفاشل، وشكّلت، من مناهضتها لغرائز التشبّث بالحياة المفعمة، مثالاً، مفسدةً ومسيئة، من خلال ذلك، إلى صميم تلك الطبائع النفسيّة الأكثر قوّة، عبر تعليمها لاعتبار القيم العليا المندفعة للنفس خطيئة وضلالات وغوايات.

المثال الأكثر إيلاماً هو هذا.

مثال ضياع باسكال الذي اعتقد أنّ عقله مُفسدٌ بسبب الخطيئة الأصليّة بينما في الحقيقة كان مفسَداً من المسيحيّة[1].

[1] إشارة إلى الفقرة 445 من خواطر باسكال، وهذه هي، من طبعة اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع ترجمة إدوار البستاني: "الخطيئة الأصلية جهالة فـي أعين الناس، ولكنها تبدو وُصفت. فليس لك إذن أن تأخذ عليّ بعد هذا المعتقد عن العقل، لأني وافقتك على ذلك. بيد أن هذه الجهالة أحكم من حكمة الناس"، ولولا هذا فماذا عسى أن يقال عن الإنسان إنه هو؟ إنّ

- 6 -

أيّ مشهد مؤلم ومرعب هذا الذي تبدّى أمام عينيّ عندما أزحت الستار الذي يحجب فساد الإنسان!

هذه الكلمة في فمي هي، على الأقلّ، في منأى عن الريبة، الريبة من أنّها قد تتضمن اتّهاماً أخلاقيّاً ضدّ الإنسان. مفهوماً — كما أريد إظهار هذا مرّة أخرى — بتجرّد من الأخلاقية الزائفة، وهذا حتى الدرجة التي فيها يكون هكذا فساد محدودا رغم كلّ شيء وبطريقة واعية جدّاً، تطلعا إلى ((الفضيلة)) وإلى ((القداسة))!

وكما يتّضح، فإني أفهم الفساد بمعنى الانحطاط: وأؤكّد أنّ كلّ القيم التي تلخّص الآن تطلعات البشرية العليا، هي قيم انحطاط.

مجمل حاله منوط بهذه النقطة التي تفوق البصيرة فأنى له أن يتبينها بعقله فيما هي مضادة للعقل؟ وهل لعقله أن يبتدعها بطرقه وهو الذي يبتعد عنها إذا عرضت له؟" إلماح من باسكال إلى كورنثوس1 25 1 " لأن مستجهل الله أحكم من الناس، ومستضعف الله أقوى من الناس"

يبدو أدعو فاسداً: الحيوان، أو النوع، أو الشخص عندما يضيّع غرائزه، مختاراً ومؤثراً ما هو مضرّ به. إنّ تأريخاً عن ((المشاعر السامية)) وعن ((المثُل الإنسانية)) ــ ولعلّ من الممكن أنّه يجب عليّ أن أرويه ــ يمكن أن يكون إيضاحاً حول لماذا بات الإنسان فاسداً إلى هذا المقدار.

حتى الحياة ذاتها أعدُّها غريزة نماء، وبقاء، وتجميع للقوّة، وغريزة اقتدار: وحيث تعوز إرادة القوّة فثمّة انحطاط.

وتأكيدي هو أنّ كلّ هذه القيم السامية للبشرية تفتقر إلى هذه الإرادة، وأنّها قيم ساقطة، وقيم عدميّة، تحقّق قدرتها في ظلّ الاسم الأكثر تقديساً.

- 7 -

بدين الشفقة يدعون المسيحيّة.

الشفقة والرأفة هي في الجانب المضادّ للانفعالات المحرّضة التي ترفع طاقة الشعور الحيوي، وبهذا فإنها تنتج تأثيراً مُثبّطاً.

عند الإشفاق نُضيّع القوّة.. وعبر الشفقة يتنامى ويتولّد أكثر فأكثر خسران القوّة التي بها تكون الحياة محتملة. الاحتمال نفسه يصاب بالعدوى المُمْرِضة من الشفقة.

وفي ظروف معيّنة يمكن أن تحصل خسارة عامّة للحياة وللطاقة الحيوية، تُصادف في علاقة بطلة غير معقولة مع مقدار أهميّة المسبب (حالة موت الناصري).

هذه هي وجهة النظر الأولى، لكن ثمّة أخرى بعد هي أكثر أهمية.

إنّما قيست الشفقة بحسب قيمة ردود الأفعال التي تستحثّه، حينها فإنّ سجاياها الحلقيّة الخطيرة المضادّة للحياة، تبدو تحت ضوء أكثر وضوحاً بكثير.

الشفقة في عمومها تتجرّأ على قانون التطوّر الذي هو قانون الانتخاب.. تحافظ على الذي قد صار مهيّأً لعروبه، تكافح لأجل المحرومين في الأرض، والمدانين من الحياة.. وتعطي الحياة ذاتها، عبر استبقائها في الحياة لوفرة من الخائبين من كلّ جنس، هيئة كاسفةً ومريبة.

لقد اجترئ على أن تُدعى الشفقة فضيلة (وهي التي تُعدّ في أيـــة أخـــلاق نبـــيلة ضعفاً)[1] وذُهب إلى أبعد من ذلك بإنشاء الفضيلة منها، وجعلها الأرضيّة والأصل لكلّ فضيلة، لكن فقط — وهذا ما يجب أن يظلّ دائماً مأخوذاً في الحسبان — من خلال نظر فيلسوف عدميّ، قد كتب فوق جبينه شعار إنكار الحياة.

شوبنهور بسببها كان إزاء هذا: عبر الشفقة أنكر الحياة، ومن خلالها جعلها أكثر مستحقّيّة للإنكار.

الشفقة هي ممارسة العدميّة[2].

أقـــول مرّة أخرى: هذه الدوافع المثبطة للعزم، والمُمْرِضة، تتجرأ على تلك الغرائز التي ترمي كغاية إلى حفظ الحياة، وإلى زيادة وإعلاء قيم الحياة.

وإنّهـــا — بالطـــريقة ذاتها — بمقدار ما تُكاثر البؤس كونها حامية للبؤساء، فإنّها أداة أساسية في تصعيد الانحطاط

---

[1] يجـــتمع فـــي الأصـــل فـــي هذه الكلمة المعنى المزدوج للأرستقراطية والفضيلة، وفي كتابه أصل الأخلاق المقطع 10 يقول نيتشه "إنّ كلّ أخلاق أرستقراطيّة تولد من تأكيد فخور بذاتها، بينما أخلاق العبيد ترفض كلّ ما لا يشكّل جزءاً من ذاتها" ويريد نيتشه هنا الاستجابة الفعلية مقابل ردّ الفعل.

[2] فـــي كتابه الأساس ((العالم كإرادة وتصوّر)) IV: /66 يقابل شوبنهور بين الحبة والعاطفة ويؤكد أن الحبّ يقود إلى التخلي التام عن إرادة الحياة، وهذا يعني، عن الرغبة. [P]

الشفقة تقود إلى اللاشيء، ولا يقال اللاشيء بل الأفضل أن يُقال ((الأبعد)) ((العالم الآخر)) أو ((الله)) أو ((الحياة الحقيقيّة)) أو ((النرفانا)) ((الخلاص)) ((المجد)).

هـــذه البلاغة البريئة المتأتيّة من مملكة الجبلّة الأخلاق — دينيّة، تبدو حالاً على أدنى قدر من البراءة عندما يُفهم أيُّ نزوع يحتوي تحت عباءة هذه الكلمات الرفيعة:

النزوع المضادّ للحياة. شوبنهور صار معاديا للحياة: وبهذا قد حُوّلت الشفقة إلى فضيلة.

كمـــا هو معروف، فإن أرسطوطاليس رأى في الشفقة حالة مرضيّة وخطرة، يجب أن تُعامل، حينا بعد حين، بالتطهير. لقد فهم التراجيديا كمطهّر[1].

من خلال غريزة الحياة يتوجّب البحث فعلاً عن تدبير يمكّن مـــن وخـــز النثرة المنتفخة المُمْرِضة والخطرة، كما تتمثّل في حالـــة شـــوبنهور (وكذلـــك — بالبؤس — كما تتمثّل في عموم انحطاطـــنا الأدبي والفنّي من سان بطرسبرج إلى باريس ومن تولستوي إلى فاغنر) وخزها حتّى تنفقئ.

---

[1] إنّهـــا نظـــرية التطهـــير المعروفة في كتابه "فن الشعر" يرى أرسطو التراجيديا تقليدا لفعل نبيل وأنها بمساعدة الشفقة والخوف تؤدي إلى التطهّر من هكذا انفعالات (1449 b 27-28)

ليس ثمّة ما هو أقلّ معافاة، داخل حداثتنا القليلة الصحّة، من نشعة المسيحيّة.

إنــه شــأننا أن نصبح هنا أطبّاء، ذوي قلوب لا ترحم، وأن نستخدم السكّين.

إنّ هذه هي خصوصيتنا، وهذه هي طريقتنا في محبة البشر، وبها نكون فلاسفة، نحن الشماليين.

- 8 -

إنّه لمن الضروري أن نقول من هو الذي نشعر به عدوّاً لنا. إنهم اللاهوتيّون وكلّ من يحملون في أجسادهم دماً لاهوتيّاً. إنهم كل فلاسفتنا.

توجد ضرورة لرؤية شؤمهم رؤية قريبة، ولمن الأفضل أن يُختبر ويعايش من داخله، وأن يصار إلى حافة الموت بسببه، حتّى لا تُقتبل أيّة ممازحة في هذه النقطة (حرية التفكير لدى باحثينا فــي الطبيعة وفي علم النفس هي عندي دعابة ثقيلة، إذ ينقصهم الإحساس بهذه الأمور والمعاناة بسببها).

ذلك التسمّم قد وصل أبعد جداً ممّا يُعتقد؛ لقد صادفت في كلّ غريــزة الغطرســة اللاهوتــيّة، حيــث يعــدّ اليوم الناسُ ذلك المــتغطرس ((كمثالــي))، وحيــث بواسطة حجّة أصل رفيع، يُطالب بحقّ النظر إلى الحقيقة في جوٍّ مُتعالٍ وغريب.

المثالــي علــى ذات المساواة مع الكاهن، يملك في يده كلّ المفاهــيم الكبيرة (وليس في يده فقط)، ويتنازل ليوجّه باحتقار ((الملكــة العقلــيّة)) و ((الأحاسيس)) و((الرفعة)) و((الرخاء)) و((العلــم))، وإنّه ليرى أموراً كهذه، دونه، ويراها قوىً مؤذية ومغوية، وفوقها جميعاً يطفو ((الروح)) في حريّة ذاتيّة خالصة ــ كما لو أنّ الطاعة والعفّة والفقر، وبكلمة واحدة: القداسة، لم تتســبّب إزاء الحياة حتّى الآن بأضرار تفوق أن تحصر، أكثر من أي رعب ورذيلة.

الروح الخالص كذبة خالصة.

طالمــا أنّ هــذا الكاهن، هذا الرافض، هذا الواشي والمسمّم المحترف للحياة يظلُّ معتبرا كنمط أعلى للإنسان، فإنّ السؤال: ما هو الحقّ؟ لا يمتلك إجابة.

الحقيقة تنقلب، بأرجل إلى فوق، عندما يُعدُّ المدافع الحصيف عن العدم وعن الإنكار كممثّل للحقيقة.

- 9 -

على هذه الغريزة اللاهوتيّة أنا أعلن الحرب.

لقد وجدتُ آثار اللاهوتيين في كلّ الأنحاء.

مـــن تجـري في عروقه الدماء اللاهوتيّة، فإنّه يتخذ مسبقاً موقفاً ملتوياً وغير مخلص تجاه جميع الأشياء.

الشّفقة الرائية ((pathos)) التي تُنمّى من هنا، تُدعى إيماناً: إغـلاق الأعين دائماً عن كلّ ما يقابلها حتّى لا تعاني من رؤية الـباطل الـذي لا يمكـن أن يعالج! وانطلاقاً من هذه النظرية الشـائهة تنشأ أخلاقيّة وفضيلة وقداسة تجاه كلّ الأشياء، ويُشدّ الضمير الصالح ويربط إلى هذا النظر المنحرف.

يُقتضـي أنّ أيـة نظرة أخرى مخالفة لا تستطيع أن تمتلك قيمة، من ثمّ، ما لم تكن في ذاتها، ومع تلك الأسماء لـ ((الله)) و ((الفداء)) و ((الأبدية)) قد كُرّست ككليّة القداسة.

إنني أنبش مُطهراً ـ أنّى وجدتها ـ غريزة اللاهوتيّ:

إنّها الشكل الديماسي (التحت أرضي) الحاضرّ بالبهتان، ذلك الذي هو الأكثر انتشاراً في الأرض.

الذي يعدّه اللاهوتي حقيقة يجب أن يكون زائفاً:

بهذا تقريباً يُمتلك معيارٌ للحقيقة.

إنّها غريزته العميقة لحفظ الذات، التي تمنع أن يغدو الواقع هـو المشرّف في أي موضع، أو أن يمتلك المبادرة و الأولوية في الكلام.

إلـى حيثما يصل تأثير أولئك اللاهوتيين، فإن حكم القوّة يصـبح مقلوبـاً، ومفاهيم ((الحقيقي)) و((الزائف)) تغدو حتماً واقفة على رأسها[1].

مـا هـو أكثر إساءة للحياة يُدعى هنا بالحق، والذي يعليها ويسمو بها ويثبتها ويبرّئها ويجعلها منتصرة يُدعى باطلاً...

وإذا ما حدث ومدّ اللاهوتيون يداً إلى القوّة عبر ((ضمير)) السادة أو ((الشعب)) فلسنا نشك أصلاً فيما يجري دائماً:

إرادة النهاية، إرادة العدم، تريد أن تمتلك القدرة.

- 10 -

يفهمنـي الألمان توّاً عندما أقول إنّ الفلسفة قد باتت مُفسدة بدماء اللاهوت.

---

[1] في الأصل. يقصد أنها تغدو مقلوبة

الراعي البروتستانتي هو جد الفلسفة الألمانية، والبروتستانتيّة هي خطيئتها الأصليّة.

تعريف البروتستانتيّة: فالجٌ نصفيٌّ في المسيحيّة، وفي العقل.

فقط عبر النطق بهذه الكلمات ((Tubinger Stift))[1] ((مدرسة توبينجه الإكليركيّة)) ثمّة كفاية لمعرفة ما هي في الأساس الفلسفة الألمانية: لاهوتٌ مستترٌ مخادعٌ.

السوابيون ((البافاريون)) هم أمهر الكاذبين في ألمانيا .. إنّهم يكذبون بكلّ براءة.

من أين اندفعت الغبطة العامرة، مع مجيء "كانط"، مساحة فوق كلّ عالم الدكاترة الألمان المكوّن في ثلاثة أرباعه من أولاد الكهنة والمعلّمين؟

من أين ذلك الاقتناع الألماني، الذي إلى اليوم يُسمع صداه، بأنّه بدءاً من "كانط" قد حدث انعطافٌ نحو شيء أفضل؟

الغريزة اللاهوتيّة داخل الحكماء الألمان تنبأت بما يعود ليصير ممكناً.. الطريق السرّي نحو المثال القديم صار مفتوحاً؛

[1] هذه المدرسة كانت معدودة معقلاً راسخاً للبروتستانتيّة هي في فورتمبرج والسواب. أسست في 1547 وفيها درس كبلر، وهيغل، وشيلينج، والشعراء هولدرلين وإدوارد موريك ودافيد فريدريك شتراوس والمنظّر الجمالي فريدريك تيودور فيشر، وآخرون [P].

فكرة ((العالم الحقيقي))، فكرة الأخلاق كجوهر للعالم (وهذان الخطآن اللعينان، هما أسوأ ما وجد بين الأخطاء كلّها) الآن، ومجدّداً، بفضل ارتيابيّة ماكرة دهياء، إنْ كانا غير قابلين للإثبات، فإنّهما ليسا يدحضان.

العقل، وحقّ العقل، لم يصل إلى بُعد كبير.

الواقع الحقيقي جعل شكلاً ((ظاهراتيّة))، وعالمٌ هو بالكليّة كاذبٌ وباطل؛ وعالم ((الشيء في ذاته)) ابتُدع محوّلاً إلى حقيقة!.

نجاح "كانط" هو ببساطة نجاح اللاهوت، لأنّ "كانط" وبالمساواة مع *لوثر* و*ليبنز* كان عائقاً إضافياً أمام النزاهة الألمانيّة، التي لم تكن في ذاتها وافرة الصلابة بعد.

- 11 -

كلمة أخرى إضافيّة ضدّ "كانط" كأخلاقيّ.

كلّ فضيلة يجب أن تكون ابتداعاً شخصيّاً، ودفاعاً ذاتيّاً عميقاً وضرورياً: وفي أيّ اعتبار آخر فإنّها تتمثّل خطراً.

الـذي لا يوائم حياتنا يضرّ بها: الفضيلة التي تتأتّى فقط من الشّـــعور بالاحترام تجاه فكرة الفضيلة، كما أرادها "كانط"، هي أذيّة.

((الفضيلة)) ((الواجب)) ((الخير ذاته))، الخير بصفات غير شخصانيّة، بقيمة عموميّة، تلك هلوسات يعبّر بها عن الانحطاط، والإرهاق النهائي في الحياة، ورعاعية كونجسبرغ[1].

المقابل هو الذي يُقدّم من القوانين العميقة للحفاظ على الحياة والنمو: أنّ كُلاًّ يبتدع فضيلته الخاصة، وأمره القطعي: ينقرض شعبٌ عندما يؤسس واجبه عبر فكرة الواجب العام.

لـــيس ثمـــة ما يدمّر أكثر عمقاً وأكثر عُتُوّاً من الواجب اللا شخصيّ، ومن تقديم الأضاحي أمام مولوخ التجريد[2].

كـــيف أن الأمـــر القطعي[3] عند "كانط" لم يُشعر به كخطر أخلاقي؟! لقد حدث أنّ غريزة اللاهوتي وحدها من قام بحمايته.

[1] تـدلّ علـــى تجمّع من السفلة والأوباش، ويستخدم نيتشه هذا المصطلح كإشارة تحقيرية لإمانوئيل كانط.

[2] مـــن آلهة الكنعانيين، وكانوا يتقرّبون إليه بأطفالهم ويحرقونهم أحياء وإبّـــان حصـــار قرطاجة عام 307 ق.م أحرق على مذبحه مائتا غلام من أبناء أرقى الأسر.

[3] الأمـــر القطعي (المطلق) عند كانط تجده مفصّلاً في الفصل الثاني من تأسيس ميتافيزيـقـــيا الأخـــلاق (ت. د عـــبد الغفار مكاوي) ويقيمه على

إنّ فعـــلاً مدفوعاً من إرادة الحياة يمتلك في الفرح ما يبرهن على أنّه فعلٌ صحيحٌ وحقّ.

مع ذلك، فهذا العدميّ ذو الأحشاء المسيحيّة ــ الدغمائيّة، قد فهم الفرح كمعارضة[1].

ما الذي يدمّر بسرعة أكثر من العمل، التفكير، الشعور، بلا ضـــرورة داخلـيّة، بـــلا أيّ اختيار شخصيّ عميق، بلا فرح، كإنسان آلي مسيّر بالواجب؟

هذا بكلّ تأكيد هو الطريق إلى الانحطاط، وحتّى إلى البلاهة. "كانط" تحوّل إلى أبله. وقد كان معاصراً لــ "جوته" !

شـــؤم العنكبوت هذا قد عُدّ الفيلسوف الألماني وحتّى الآن يُعدّ هكذا.

ميتافيزيقيا أخلاقية معزولة عن الوقائع وعن الفطنة (بحسب مفهوم أرسطو لها في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخس) "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام" ص6.

[1] لمستزيد بكـــتاب نيتشه أصل الأخلاق فصل يتحدّث نيتشه عن المشكلة الأخلاقية يعجب من تعريف كانت للجمال بأنه ذاك الذي يثير عجائب دون أن يخالط هذا الإعجاب أية فائدة أو هوى. ويقول نيتشه معقباً: "بلا هوى!، قـــارنوا هـــذا الـــتعريف بـــتعريف ستندال الذي سمّى الجمال مرّة بشرى بالسعادة".

سأكون منتبهاً في القول بما أفكّر فيه تجاه أولئك الألمان. ألعل "كانط" لم ير في الثورة الفرنسية التحول من الشكل اللا عضوي للدولة إلى الشكل العضوي؟

ألم يسأل إذا كانت قد وجدت حادثة واحدة يمكن أن تكون مشروحة ومفسرة إلاّ عبر تنظيم أخلاقي للبشرية، الأمر الذي يبرهن نهائياً ميلَ البشرية وتوجهها نحو الخير؟

جواب "كانط" ((هذه هي الثورة))

– الغريزة غير المؤكّدة والملتبسة في كلٍّ وفي أي شيء من الأشياء؛

– المضادة للطبيعة، كغريزة؛

– الانحطاط الألماني كفلسفة:

هذا هو "كانط".

- 12 -

بمّا صرفت النظر عن بعض الشكاكين، الذين يمثلون النمط المحترم في تاريخ الفلسفة، فإنّ الفئة لا يعرفون المتطلبات الأولية للنزاهة العقليّة.

كلّهم يتصرفون كالآنسات؛ كلّ هؤلاء المشعوذين الخياليين والوحوش الخرافيّة، ينظرون إلى المشاعر الجميلة كافتخار، وإلى الصدر المرتفع ككبير للألوهية، وإلى الاقتناع التامّ كأسس للحقّ.

في آخر الأمر يحاول "كانط"، وبلطف المسي، أن يعطي لهذا الشكل من الفساد، لهذا الشحّ في الضمير العقلي، ملامح علمانيّة بواسطة فكرة ((العقل العملي))، مبتدعاً سراعاً سبباً معلّلاً وحجة لتلك الأحوال التي يتوصّل فيها المرء ألاّ يملك ما يهتمّ معها بالعقل، أي، عندما الأخلاق، عندما الأمر الرفيع ((واجباتك)) تغدو مسموعة ومُصغىً إليها.

إذا عُدّ عند كلّ الشعوب تقريباً، أن الفيلسوف ليس سوى امتداد للنمط الكهنوتي، فعندها ليس بمفاجئ ما هذا الجزء من ميراث الكاهن، هذا الغشّ تجاه الذات:

عندما يمتلك واجبات مقدّسة، وعلى سبيل المثال، تحسين وإنقاذ هداء البشر، وعدم يحمل الألوهة داخل صدره، ويكون هو المذيع للأوامر المتعالية، فإنّه — مع هكذا دعوة وتبشير — يصير خارج كلّ القيم التي في نطاق العقل، ويكون فضلاً عن ذلك مقدّساً عبر هذه الواجبات، ويصبح أيضاً شخصاً من نمط عالٍ!

بماذا يهمُّ العلمُ الكاهن؟!

إنّه فوق العلم بكثير!

والكاهن مازال مسيطراً حتّى الآن.

إنّه هو من قرّر مفاهيم ((الحقيقي)) و ((الباطل)).

- 13 -

لا نستخفّ بهذا: نحن ذاتنا، الأرواح الحرّة، محوّلٌ للقيم وإعلانٌ فيزيقيٌّ حيٌّ للحرب وللغلبة على كلّ المفاهيم القديمة للحقيقي واللا حقيقي.

إنّها الانتصارات الأكثر قيمة تلك التي تصادف في وقت متأخّر؛ غير أنّ ما هو أكثر قيمة بينها هو تلك المناهج.. كلّ المناهج وكلّ فرضيّات علمانيتنا العقليّة اليوم، عانت الاحتقار العميق ضدّ كينها لآلاف السنين، وبسببها كان الرجل يُنفى ويستبعد من معاملة الناس الشرفاء، معدوداً كـ ((عدوّ لله)) كمحتقر لـ ((الحقيقة)) ومردر لها، وكمن به مسٌّ وكمتّصف بسجيّة علميّة فإنّ الواحد كان يُعدُّ Chandala ((احقر

الطبقات))[1]. لقد عانينا من كلّ العواطف القلبيّة المشععة Pathos كضدّ لذواتنا. وكلّ مفهوماتها عمّا يجب أن تكون الحقيقة، وخادم الحقيقة، وكلّ ((واجباتك)) ، كانت موجّهة ضدّ ذواتنا.

موضوعاتنا، فعاليّاتنا، طريقتنا الصامتة والفطنة والمتشككة، كلّ هذا بدا للبشرية غير جدير، وغير أهل بالتقدير.

---

[1] أتت الشاندالا من إحدى قبائل الهند القاتمة في البنغال الشرقيّة.. هذه القبيلة تشكّل الطبقة الأكثر حطّة، وقد عومت في الكتب و لأشعار بالنعوت الأكثر تحقيرا . ويبتشه يأخذ وصفهم من كتاب لويس جاكوليوت عن التشريعات الدينية عند مانو، موسى، ومحمّد الصادر في باريس سنة 1876 حيث يقول عن الشاندالا: ((إنهم ثمر الزناء وربى للمحارم والانحراف (وهذه هي النتيجة اللازمة لمفهوم العقاب الجسدي) وفي اللباس عليهم أن يرتدوا فقط أسمالا، وللآنية فقط يستعملون جفانا مكسورة، وللزينة حديد قديم، وللعبادة الدينيّة فقط الأرواح الخبيثة؛ وبدون سلام، عليهم أن يرتحلوا من مكان إلى مكان؛ وممنوع عليهم أن يكتبوا من اليسار إلى اليمين أو أن يستعملوا اليد اليمنى للكتابة، إذ أنّ استعمال اليد اليمنى والكتابة من اليسار إلى اليمين أمر محفوظ للأفاضل ولذوي النسب)) [P] في شفق الأوثان ((الذين يريدون إصلاح البشرية بند 3)) يعود نيتشه ويذكر أغلب ذلك.

ويمكن أخيراً ـــ لأجل الإنصاف ـ التساؤل عمّا إذا لم يكن شعوراً جمالياً في الأصل هو الذي ترك البشرية في هكذا عمىً متطاول الأمد.

هـذا يقتضـي مـن الحقيقة فعلاً تصويرياً، وبالمقدار عينه يقتضي من الخنثة المعقّب أن يمتلك تحكّماً قويّاً بالمشاعر.

تواضُعنا غير أمداً متطاولاً في مناهضة الذوق.

آه! كيف تنبأت بذلك ديوك الله الروميّة!

- 14 -

لقـد أعدنـا تصحيح المفاهيم. لقد عدنا متواضعين في كلّ الحقـول. إننـا لـم نعـد نشـتق الإنسان من ((الروح)) ومن ((الألوهيّة))، وإنما صرنا نضعه بين الحيوانات.

إننا نعدّه الحيوان الأكثر قوّة، ذلك أنه الأكثر دهاء.

إحدى نتائج ذلك هي عقلانيّته.

من جهة أخرى، إننا نحترز من باطل يريد أن يجعل صوته مسـموعاً هـنا أيضـاً: إنه ذاك الذي بمقتضاه يصبح الإنسان المقصد العظيم الكامن للتطوّر الحيواني.

ليس الإنسان، ولا بأي طريقة أو معنى، تاج الخليقة[1].

وإن كلّ كائن من جهته هو على ذات المستوى من الكمال.

وعندما نؤكد هذا، فإننا نؤكد كذلك زيادةً: أنّ الإنسان، نسبيّاً، هـو الحيوان الأكثر فشلاً، الأكثر مرضاً، والأكثر ابتعاداً بشكل خطرٍ عن غرائزه. وطبعاً، ومع كلّ هذا، هو الأكثر إثارةً!

فيما يتعلق بالحيوانات، فإنّ "ديكارت" كان الأول الذي بجرأة تستأهل التقدير، اجترأ ونظر إلى الحيوان كما لو أنّه آلة[2].

كـلّ فيزيولوجيّتنا اجتهدت لإثبات هذه القضيّة، لكننا لم نعد نستثني الإنسان ــ طبعاً ــ كما فعل "ديكارت":[3] إذ كلّ ما هو

[1] فـي النسـخ الـثلاثة التي بين يديّ يستعمل كلمة ((Creacion)) أي الخلـيقة أو المصـنوعات أو البريّة، ورجل علماني يجب أن يستخدم كلمة كائنـات حيـث لا تدلّ على خالق بل على الطبيعة، لكن نيتشه هنا يستخدم هـذا التعبير اللاهوتي بقصد نقضه، وهذا يظهر في كلمة تاج في العبارة التالية.

[2] يقـول ديكارت: ((الحيوان بوصفه ساعة تحكمها القوالب والدواليب)) المنهج لإحكام قيادة العقل، القسم5.

[3] يقصد قول ديكارت: ((لأنني لم أجد بعد الكفر بالله.. ضلالاً أشدّ إبعاداً للـنفوس الضـعيفة عـن طريق الفضيلة المستقيم، من أن يتوهم الناس أنّ للـبهائم نفوساً من طبيعة نفوسنا))، المنهج، القسم5. والواضح هنا أن نيتشه قـد فهم طبيعة نظر ديكارت إلى الحيوان بوصفه آلة، كونها خطوة لتأكيد تفرّد الإنسان عنه وامتلاكه روحاً مقابل آليّة الحيوان، وهو ما ينقده نيتشه

معـــروف اليوم عن الإنسان يؤدّي بالضبط إلى النقطة التي يُعدّ فيها ماكينة.

وقبلاً قد ادُّعي أنّ الإنسان عطيّةٌ متأتّية من نظامٍ أسمى، هو الإرادة الحــرّة: الــيوم نحنُ نقصي حتّى الإرادة بالمعنى الذي يوجب ألاّ تكون بعد معدودة بوصفها ملَكة.

الكلمــة القديمــة ((إرادة)) تصــلح فقط لتشير إلى مفاعيل ونــتائج، نوعاً من ردّ الفعل الشخصي الذي يستجيب ضرورة لمقدار من الحوافز المتعارضة في جزء والمتوافقة في آخر.

الإرادة لم تعد ((تفعل))، لم تعد ((تتحرك))..

قبلاً، نُظِر في ضمير الإنسان، وفي روحه، دليلاً على أصله العلــوي، وعلــى ألوهيــته. لجعل الإنسان كاملاً، نُصحَ، على طــريقة السلحفاة، أن يصرف أحاسيسه إلى داخل ذاته قاطعاً علاقــته بالأرض، وأن يتجرّد من قشرته الفانية: فما يتبقى منه هكذا إلاّ الأصلي، ((الروح الخالص)).

حــول هــذا أيضــاً تأمّلنا جيداً مقوّمين التصوّر: تحصيل الضمير و((الروح))، يعني لنا بدقّة عَرَضاً من نقص نسبيّ في الكائن العضويّ، محاولةً، وتحسُّس عاثر، ضلالاً، وعملاً راهناً فيما يستنفذ بغير ضرورة الكثير من الطاقة العصبيّة.

إنّــنا لنــنكر أن يكون ثمّة ما يُبلغ به الكمال في حين يُعمل بضمير.

الروح الخالص جهالة خالصة.

إنّنا طَرحنا من الحساب النظام العصبيّ والحواس، ((القشرة الفانية)) فإننا نخطئ في الحساب، ولا أكثر.

- 15 -

لا الأخــلاق ولا الدين في المسيحيّة يلامسان الواقع في أية نقطة.

– دوافع خيالية محضة:

("الله"، "النفس"، "الأنا"، "الروح"، "الروح الحرّة" .. أو كذلك "الجبرية".).

معاعيل خيالية محضة:

("الخطيئة"، "الفداء"، "النعمة"، العقاب"، "غفران الخطايا".).

– علاقة بين تكوينات خياليّة:

("الله"، "الروح"، "النفس").

– علوم طبيعة خيالية.

(مركزيّة الإنسان داخل الكون، مع غياب كلّي لمفهوم الأسباب الطبيعيّة).

- علم نفس خيالي:

(فهم خاطئ كليّة للذات، تمثيلات لمشاعر عامّة مرضية أو غير مرضية، وكمثال: حالات العصب السمبثاوي "العصب الودّي"، مع مساعدة من اللغة الإشاريّة لطبع أخلاق ــ ديني ــ "التوبة"، "تأنيب الضمير"، "غواية الشيطان"، "قرب مجيء الرب")

- غائيّة[1] خياليّة:

("مملكة الرب"، "الحساب الأخير"، "النعيم الأبدي".).

هذا العالم الوهمي، الخالص الوهميّة، يتميّز، وبسوء واضح، عن عالم الأحلام، لأنّ هذا الأخير يعكس عالم الواقع، بينما ذاك البطلان وخسف القيمة، والإنكار.

بعد احداث مفهوم ""الطبيعة" كمفهوم مضادّ "لله"، فإنّ كلمة "طبيعي" جعلت مترادفة مع "مذموم أو مستنكر".

---

[1] Teleologia بالمعنى الحديث الذي أعطاه كريستيان وولف (1679-1754): "ذلك الجزء من فلسفة الطبيعة الذي يشرح غايات الأشياء يمكن أن يدعى الغائيّة" [P]

كلّ عالم الوهم ذاك يمدّ جذوره في الكره المقابل لكلّ ما هو طبيعي (حقيقي).

إنّه التعبير عن نفور عميق من الواقع الحقيقي. لكن بهذا يغدو كلّ شيء مفسّراً.

من الذي يمتلك الدوافع للتهرب بكذبة من الواقع؟ إنّه الذي يكابد ويعاني منه.

لكنّ المعاناة من الواقع تعني وجود واقع غير ذي توفيق.

هذا الرجحان لمشاعر النفور على مشاعر المسرّة هو السبب في تلك الأخلاق وتلك الديانة الوهمية الصورية:

هكذا رجحان مع ذلك هو وصفة الانحطاط.

- 16 -

إنّ نقداً للمفهوم المسيحي عن الله يحملنا إلى إظهار نتيجة مطابقة.

إنّ شعبا يثق بنفسه، يمتلك كذلك إلهه الخاصّ، وفيه يحترم الظروف التي بواسطتها بات في الأعلى، ويوقّر فضائله إنّه

يحقّق سعادته بذاته، وشعوره بالقوّة، في كينونة يمكنه أن يتوجّه إليها بامتنانه.

من هو غنيّ يتشوّق إلى العطاء. وشعبٌ فخورٌ يستشعر الحاجة إلى إله كي يزجي إليه قرابينه.

الدين بمقتضى هكذا مقدمة هو شكل من الشكران.

ثمّة من يكون ممتنّاً لذاته، ولأجل ذلك يحتاج إلى إله.

هكذا، إله يجب أن يكون قادراً على الإنعام والإساءة، وفي حالات من وجوده يكون صديقاً وعدوّاً، وينال الإعجاب في الخير كما في الشرّ.

إنّ خصاء الله، المضادّ للطبيعة، يُصنع منه فقط إله للخير، سيكون إزاء هكذا أفكار خارج كل ما هو مستحبّ.

فالمرء يحتاج تماماً إلى إله شرير بمقدار ما يحتاج إلهاً صالحاً، كما ينسى أن لا يُرهن الوجود الذاتي إلى المسامحة والإنسانيّة بكلّ تأكيد.

بأي شيء يفيدُ إلهٌ لا يعرف الغضب والانتقام والحسد والسخرية والمكر والعنف، والذي حتّى لا يعرف الأوار الساحر والاضطرام الخلّاب للغلبةِ والتدميرِ الهدّام؟

إله كهذا لا يمكن أن يُفهَم ماذا يُفيد شعباً أن يحتازه؟

بكلّ وضوح وتأكيد: إذا انهار شعبٌ، وإذا بشكل قطعي بات يشعر أنّ إيمانه بالمستقبل، وأمله بالحريّة، اضمحلّ، وإذا، إذا ارتدّ والتفت إلى الوثوق بأنّ الخضوع هو الدافع الأول، وبأن فضائل الرضوخ هي مستلزم الحفاظ على الحياة، حينئذ فإنّ إلهه يجب أن يتغيّر.. يصبح منافقاً مرائياً هيّابة، متواضعاً ناصحاً بسلام النفس وبترك البغضاء، وبالمسامحة وبالمحبّة للصديق كما بالمثل للعدوّ.. يعظ مهذباً الأخلاق دون توقّف، ينسحب إلى كهف الفضائل الذاتيّة، يتحوّل إلى إله للجميع، إلى شخص، على الخصوص، يتوافق مع كلّ العالم.

في أزمان أخرى، يمثّل الله شعباً، وعزم شعب، وكلّ عدوانيّته وتعطش ذات ذلك الشعب للقوّة.

الآن، وبالكاد هو فقط الإله الصالح.

في الواقع، لا يوجد بدائل أمام الآلهة:

إمّا أنهم إرادة قوّة، وخلال ذلك يكونون آلهة شعوب..

أو أنهم بطريقة ثانية عجزٌ عن القوّة. ومن ثم يصبحون بالضرورة أخياراً صالحين.

- 17 -

حيثما تنحرف إرادة القوّة بأي شكل، فثمّة في الوقت عينه خَوَرٌ فيزيولوجيّ، انحطاط.

ألوهة الانحطاط، تلك المجرّدة من، والمخصيّة في، فضائلها وغرائزها الأكثر حيوية، تتحول — لابدّ — إلى إله للمحطين المتدهورين فيزيولوجياً، للضعفاء.

وهؤلاء لا يدعون أنفسهم "ضعفاء" بل "طيبين".

وإنّه لمفهومٌ، دون حاجة إلى علامة لاحقة، في أيّة لحظة من التاريخ أمكن أن يتحقّق الوهم المضاعف لإله صالح وآخر شرير.

ومع الدافع ذاته الذي به ينحدر المقهورون إلههم إلى الإله الطيب في ذاته، يجرّدون إله الغالبين من خصاله الجيّدة.

إنهم لينتقمون من أسيادهم محوّلين إله هؤلاء إلى شيطان.

الإله الصالح مثل الإله الشرير: كلاهما فرْخُ انحطاط.

كيف أمكن إلى اليوم أن يُسلّم لبلاهة اللاهوتيين المسيحيين إلى حد أن يُقرّ معهم أنّ التطوّر اللاحق لمفهوم الله، بدءاً من

(إله إسرائيل)، من إله شعب، إلى إله مسيحي — هو خلاصة جوهرية للخير — يكون ترقّياً؟!

حتى "رينانْ" نفسه يفعل هذا، كما لو أنّ رينان يحقّ له أن يكون أبلهاً!(1)

- المناقض يقفز إلى النظر.

إذا ما ظروف الحياة الصاعدة المترقيّة ومتطلباتها، وإذا كلّ ما هو قويّ، قيّمٌ بجسارته، سياديّ، شامخٌ أنوف، بقي مستبعداً من مفهوم الله، وإذا الله شيئاً فشيئاً تحدّر ليصبح رمزاً لعصا المتعبين وعكّازهم، ولعوّامة إنقاذ لكلّ من يغرقون، وإذا تحوّل إلى إله — الفقراء، وإلى إله الخطاة، إله للمرضى المثاليين من أعلى نمط متميّز، والمحمول "مخلّص" و"فادي" يبقى — إن جاز القول — محمولاً إلهيّاً على العموم، فإذاً عن أيّ شيء يتحدث هكذا تحوّل، هكذا خسفٌ للألوهي؟

واضح: ((مملكة الله)) تنمو هكذا.

في زمنٍ ماضٍ لم يكن الله يمتلك غير شعبه، ((شعبه المختار))، لكن من ثمّ، وبالمساواة مع شعبه، مضى صوب الغريب، وتغرّب، ومنذ ذلك الحين لم يقدر بعدُ أن يبقى ساكناً

---

(1) يشير نيتشه إلى كتاب رينان "حياة يسوع" الذي تُظهر فيه هذه الحيلة كتلميح يجري وفق قوانين باطنيّة [p].

في مكان واحد، حتّى إنّه أخيراً قد صادف بيته في كل النواحي، هـو المواطـن العالمي الأكبر، وامتلك من جهته الرقم الأكبر ونصف البشرية.

لكـن إله ((الرقم الأكبر))، هذا الإله الديمقراطي بين الآلهة، لم يتحول رغم هذا إلى إلهٍ فخور وثني:

لقـد استمرّ يهوديـاً، وإله زوايا.. إله كلّ القراني المعتمة والأماكن المظلمة، والأحياء الوخيمة، للعالم الكامل!

مملكته العالميّة بقيت محدودة، كما قبلاً، مملكة للعالم السفلي، ومصحّة، مملكـة تحت أرضيّة ـ سردابيّة، مملكة (جيتو)... وبقـي هو نفسه، بالغ الشحوب، بالغ الضّعف، ومنحطّاً... حتّى الأكـثر شحوباً بين الشاحبين، أسياد الميتافيزيقيا، أولئك المُهق الأفكار قد تسيّدوا عليه[1].

لقـد حـاكوا حولـه نسـيج العنكبوت وقتاً كافياً، حتّى نُوّم مغناطيسـياً مـن حـركاتهم، وحـتّى انتهى بدوره ليصير إلى عنكبوت[2] إلى ميتافيزيقي.

---

[1] الأمهـق أبـيض الجلد كالجصّ، والشعر كذلك عموماً. ويقصد الأفكار الشاحبة التجريديّة.

[2] لعـبٌ في الأصل على الكلمات Spinne = عنكبوت، Spinozae= سبينوزا [p]

مـن الآن ولاحقـاً، ينسجُ ـ مُجدّداً ـ العالمَ، خارج ذاته. [نموذج اسبينوزا].

من الآن وصاعداً، فإنّه يتجلّى مبديا هيئته في كينونةٍ كلّ مرّة هي أكثر شحوباً وتجريداً،

يـتحول إلـى ((مـثال أعلى))[1] إلى ((روح مجرّدة)) إلى ((مطلق)) إلى ((شيء في ذاته)).

انهيار إله وتحطّمه الله يتحوّل إلى ((شيء في ذاته))[2].

- 18 -

---

[1] يقول كانط في ((نقد العقل المجرّد))، الجدل الاستشرافي الفصل الثالث، المبحث الأول: في المثال الأعلى بصورة عامة:"إنّ ما هو بالنسبة لنا مثال أعلى، كان في لغة أفلاطون، مثلاً أعلى لذهن إلهي، وهو موضوع إفرادي حاضر بالنسبة لركائزه، وهو الأشدّ كمالاً من كلّ نوع من الكائنات الممكنة، والنموذج الأصلي لجميع النسخ الظاهراتية" [ترجمة احمد الشيباني عن دار اليقظة]

[2] الشيء في ذاته عند كانط لا يكاد يختلف عن المثل عند أفلاطون ويكفي أن نـنظر فـي تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ص113 ترجمة الشيباني قول كـانط: "نعترف ونسلم بوجود شيء آخر وراء الظواهر ليس هو نفسه ظاهرة ونعني به الأشياء في ذاتها"

المفهوم المسيحي عن الله: الله كإله المرضى، الله كعنكبوت، الله كروح، هو واحد من المفاهيم الأكثر فسادا حول الله، التي شُكّلت فوق الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، لعلّه يُمثّل المستوى الأكثر انحطاطا في مجرى التطوّر المنحدر لنمطية الآلهة.

الله منحطّ: ليصير مناقضة للحياة، بدلا من أن يكون تجلّيها الممجّد، وأزليتها الموطّدة.

في مفهوم «الله»، تُعلن وتُدّعى العداوة للحياة، وللطبيعة، ولإرادة الحياة!

الله صيغةٌ لكلّ النمائم الكاذبة عن (الدنيا) ولكلّ كذبة عن (الآخرة).

في الله يؤلّه العدم، وتُقدّس إرادة العدم.

- 19 -

واقع أنّ السلالات العتيّة لأوروبا الشمالية لم تستمر في ذاتها متنكرة للإله المسيحي، لم يشرّف مزاياها الدينيّة، حتّى لا نتكلّم على ذوقها.

لقد كان يجب أن يتخلّصوا من جهيض الانحطاط هذا، الممراض والمتساقط.

ولكن إذا لم يتحرّروا منه فإنّه يثقل فوقهم، ذلك أنّهم لم يمتلكوا القوة للتخلص منه: لقد جمّعوا داخل دوافعهم المرض والشيخوخة والتناقض؛ ومن حينها لم يعودوا لخلق أيّ إله.

قرابة ألفيتين، ولا حتّى إله واحد!! إنّما وحتّى الآن، بالمقابل، وكما عن حقّ ذاتي، وكأمر ختاميّ وأقصى من القوّة الخلّاقة للآلهة ومن الروح المبدع المُخلّق، قد ساد على البشر هذا الإله المؤسف للتأليهيّة عند الرتبية المسيحيّة: هذا الفعل المنتج من الانحطاط، المستنبط من الصفر، والذي هو مفهوم مُناقضة، فيه قد وجدت كلّ غرائز الانحطاط وكلّ جبانة، وكلّ تعب الروح، صداقها.

- 20 -

لست أريد بحكمي ضدّ المسيحيّة، أن أرتكب إجحافاً ضدّ دين قريب منها، ويتفوّق عليها بالعدد الأكبر من الرهبان، أعني البوذيّة.

كلاهما ــ كدينين ينتميان إلى العدميّة ــ دينا الانحطاط.

لكنهما يختلفان فيما بينهما بالطريقة الأكثر تمايزاً.

بمّا حدث اليوم إمكان مقارنتهما، فإنّ نقد المسيحيّة يدين بالفضل العميق، للحكماء الهنديين.

البوذيّة مئة مرّة أفضل من المسيحيّة.

إنّها تحمل داخل كيانها ميراث عرض المشكلات بطريقة موضوعيّة وباردة، والمتأتّي إثر قرون من حركة فلسفية.

مفهوم الله يتمّ تجاوزه عند ظهوره. والبوذية في قرارتها هي دين الوحيد السلبي بحق الذي يظهره لنا التاريخ، لا بل إنّه في نظريته المعرفية (ظاهراتيه[1] صارمة) لا يعلن ((الصراع ضدّ الخطيئة))، وإنّما، مسلّماً تماماً بالحقّ للواقع، يعلن ((الصراع ضدّ المعاناة)).

إنّه تاركاً وراءه المخاتلة الذاتيّة للمفاهيم الأخلاقيّة، وهذا ما يميّزه جذرياً عن المسيحيّة، يصير ــ متحدثاً بلغتي ــ أبعد عن الخير والشرّ.

الفعلان الفيزيولوجيان اللذان تنهض البوذية وتقوم فوقهما وتأخذهما بالنظر المراقب هما.

---

[1] هذا يحيل إلى نظرية كانت التي بموجبها يمكن للأشياء فقط أن تُعرف فقط كما تظهر لنا وليس كما هي في ذاتها، أي الشيء في ذاته.

1 قابليّة استثارة شديدة في الحساسية، تظهر كقدرة مرهفة للألم.

2 روحنة عميقة، وحياة بالغة الطول في مفاهيم وسلوكيّات منطقيّة، والتي تحت نطاقها غابت الدوافع الشخصية من التصنيع والغبن في نفع الدوافع اللا شخصيّة.

(كلا الحالتين، على الأقلّ بعضٌ من قرائي ((الموضوعيين))، وعلى مثال ما أعرف أنا، يعرفونهما من التجربة).

لقد شكلت هذه الظروف الفيزيولوجيّة أصلاً لانحطاط وتدهور:

ضدّه بوذا يتقدّم بوسائط الصحّة، وفي مواجهته يستخدم الحياة في الهواء الطلق، الحياة الجوّالة، البساطة والاختيار في الطعام، الحذر تجاه كلّ المشروبات الروحية، وذات الحذر من كلّ الأفعال التي تبعث الصفراء، وتجعل الدم يغلي... ليس ثمّة اهتمام ولا انشغال بال، لا لأجل الذات، ولا لأجل الآخرين. إنّه يقتضي أحاسيس، هادئة أو سعيدة.

وقد أوجد تدابير للابتعاد عن الأخرى المناقضة.. لقد فهم الدماثة، والصيرورة دمثاً، كمفصل ومحسن إلى الصحّة .. والصّلاة تعدو مُبعدة، كما الشك. ليس من أمر مطلق، وفوق

الكـلّ لا صـــعط، ولا حــتّى ضمن جماعة ديريّة (التي يمكن النكوص والحروج منها).

كــلّ هذه كانت إجراءات لتشديد الحساسية التأثّرية الوسيعة. وللــسـبب عيـــه، فإنّــه لا يقتضي صراعا أيًا كان ضدّ الذين يفكّرون بطريقة مباعدة. وليس تنهص عقيدة بودا ضدّ أيّ شيء كمـــا صـــدّ مشاعر الانتقام، والكراهية، والصعيبة ("العداوة لا تنتهــي عن طريق العداوة": هذا هو المثل المؤثّر في المشاعر عند البوذيّة).

بحقّ: فإنّ هذه المؤثرات الوثيقة تكون كليّة هادّة للصحّة في نطام تعدية أساسي.

التعــب الروحـــي الــذي يصـــادمه بوذاء، والمعبر عنه في ((موضـــوعيّة)) بالغـــة الكـبر (وهـــدا يعنـــي ضعف المنعة الشخصـــيّة، وفقد مركز الجذب، وفقد الأنانيّة) يحارب بالتركيز المتشدّد على الفرد، وعلى تلك المنافع الأكثر روحانيّة.

في عقيدة بوذاء الأنانيّة الذاتيّة ممو صعة كواجب: الــ "كيف تــتحرّر مـــن المعانـــاة" الذي هو "الأمر الوحيد الضروري"[1]، يحدّدان وينظمان كلّ الحميّة والنظام العقلي.

(لعلّـــه يكـــون سانحاً لنا تذكر ذلك الأثيني الذي صنع حرباً علـــى العلمـــيّة المحضة، ورسمُ موازاة معه، "سقراط"، الرائع للأثـــرة الشخصـــيّة ــ ضمّن مملكة المشكلات ــ إلى مستوى الأخلاق)[2].

---

[1] انجيل لوقـــا10:41 "فأجـــاب يســـوع وقال لها: مرثا مرثا أنت تهتمين وتضـــطربين لأجل أمور كثيرة* ولكن الحاجة إلى واحد" ونيتشه يستعمله بطريقته.

[2] يقول نيتشه في "شفق الأوثان" مشكلة سقراط 9: "لكن سقراط تكهّن بأمر آخر. رأى ما وراء الأرستقراطية الأثينيّة. عرف أنّ حالته، أنّ جبلّة حالته، لـــيس بعـــد حالة استثنائية. والنوع نفسه من الانحطاط يُهيّأ بسكون في كلّ الأنحـــاء: أثينا العجوز تمضي إلى نهايتها. وسقراط علم أنّ كلّ العالم به حاجـــة إلـــيه .. إلى علاجه، إلى طبه.. إلى احتيالة الشخصي لأجل حفظ الذات.." عن الطبعة الإسبانية لشفق الأوثان، اليانزا، في مدريد

- 21 -

الظروف التمهيديّة للبوذية هي مناخٌ لطيفٌ، وحلاوةٌ عظيمة وتحــرّر في العادات، وغياب كلّي للعسكرية، وواقع أنّها تملك بؤرتها في المراتب العليا كما في مراتب العلاّمين.

إنّها تتطلّب كفاية قصوى السلام الهادئ، الطمأنينة الساكنة، والغياب الكلّي للابتغاء. وغايتها قد حُصّلت.

البوذية ليست ديناً حيث يُنتظر هكذا فقط الكمال، بل الكمال فيها هو العاديّ.

فــي المســيحيّة تظهر إلى المستوى الأول قبل الكلّ غرائز المحصنّــين والمضيّق عليهم. وإنهم تلك الطبقات الأكثر حطّةً التي تبحث في المسيحيّة عن الخلاص.

هــنا كتشاغل، وكعلاج ضدّ السأم، تُمارس مساءلة الضمير حول الخطيئة، النقد الذاتي، التحقيق التفتيشي مع الضمير.

هــنا الحنين إلى قدير ــ يدعى الله ــ يتماسك "عبر الصلاة" باستمرار واقفاً على قدميه.

هنا العالي يُفهم كما لا يمكن أن يوصل إليه، كعطيّة، كنعمة، هنا كذلك ينقص العلَن[1].

المخبأ والركــن المظلم هما مسيحيّان، هنا يُحتقر الجسد، وتُرفض مراعاة الصحة بعدّها شهوانيّة.

الكنيســة تقاوم حتّى النظافة (المعيار الأوّل على المسيحيّة بعــد طــرد المسلمين كان إغلاق الحمامات العامّة، التي كانت قرطبة وحدها تملك منها 270 حماماً).

المسيحيّ معنى مؤكد على الفظاظة والقسوة ضدّ ذاته، وضدّ الآخريــن، وعلــى البغضاء ضدّ من يفكّرون بطريقة مختلفة، وعلى إرادة الاضطهاد.

أفكار ظلاليّة ومهيّجة تشغل المحل الأوّل. والحالات الأكثر توقاً إليها، والمعنية بالأسماء الأكثر سموّاً، هي حالات الصرع.

نظام التقشف المختار بهكذا طريقة يخدم المظاهر المرضيّة ويُهيج بشكل فائق الأعصاب.

المسيحيّة عداوة حتّى الموت ضدّ أسياد الأرض وجبابرتها، وضــدّ "النــبلاء"، ومنافسة مستترة وسريّة (إنّها لتهجر الجسد، وتريد فقط النفس).

---

[1] بمعنى العمومية.

المسيحي هو بغضاء لشرف النفس، والفخر، والجبروت. إنّه ضدّ الحريّة، وضدّ التحرّر الروحي؛ المسيحي بغضاءٌ معادية للأحاسيس، وضدّ سرور الأحاسيس، وضدّ الفرح في النهاية.

- 22 -

عندما تركت المسيحيّة مكانها الأول، وطبقاتها الاجتماعيّة الدنيا، والعالم التحتي للعالم القديم، عندما مضت باحثة عن القوّة بين الشعوب البربرية، لم تملك في تنظيمها رجالاً متعبين إذاً، وإنّما داخليّاً وحشيين مقهورين؛ الرجل القويّ إنّما الفاشل.

عدم الرضى عن الذات، والمعاناة بسبب من الذات، ليس هو في هذه المنطقة كما عند البوذيّة حساسية مفرطة، وقابلية شعور زائدة بالألم، وإنّما الأوضح بالعكس، رغبة قويّة لتسبيب الألم، وتفريغ التوتر الداخلي في أفعال وتخيلات وأفكار عدائية.

وُجدت في المسيحيّة حاجة لمفاهيم وقيم بربرية لتصير سائدة على البرابرة: كما هي الحال مع التضحية بالبكر، شرب الدم

في المناولة، احتقار النباهة الذهنيّة والثقافة، العذاب في كلّ أشكاله، الجسدية[1] والعقليّة، والأبهة ذات العظمة للعبادة

البوذية ديانة الناس المتحضرين، والأجناس المنهكة التي صارت دمثة لطبيعة مفرطة الروحيّة، وتستشعر الألم بسهولة (إنّ أوروبا ليست حتّى الآن، ولا بأدنى قدر، ناضجة للبوذية).

البوذية إرجاع لهذه الأجناس إلى السلام والغبطة الهادئة، إلى الانضباط الروحي، إلى حالة غير ذات غلظة في الجسد.

المسيحيّة، بالمقابل، تبتغي التحكّم في حيوانات القطيع. ووساطتها لأجل بلوغ ذلك أن تحوّلهم إلى مرضى.

الإضعاف هو الوصفة المسيحيّة للـ "التدجين" وللتمدّن.

البوذية دين لنهاية وتعب المدنيّة؛ بينما المسيحيّة ولا حتّى تلتقي أمامها بمدنيّة، وإنها تؤسسها في بعض الأحوال.

- 23 -

إنّ البوذية، أقول مجدّداً، هي مئة مرّة أكثر برودة وأكثر صدقاً وموضوعية.

---

[1] عبر الحواس.

إنّهـا ليست بحاجة لتبرير معاناتها، وحساسيتها تجاه الألم، عبر تأويل الخطيئة. إنّها فقط تقول ما تفكّر به: "أنا أعاني".

عند البربري، بالمقابل، المعاناة في ذاتها غير مقدّرة أبداً، وثمّة نقصٌ مؤكّدة في الإعراب لنفسه بما يعاني (غريزته تشير عليه، بالأحرى، أن ينكر المعاناة، ويحتملها في صمت).

وهـنا فإنّ كلمة "الشيطان" تكون عمل تعزية حقيقيّة، إذ به يُمتلك عدوّ جبّار ومرهب، وليس ثمّة ما يُخجل من مكابدة عدوّ كهذا.

المسيحيّة تمتلك في قرارتها بعض المراءات المخادعة التي تنتمي إلى الشرق. وفي المكان الأوّل تعرف أنّه سيان أن يكون أمـرٌ حقيقيّاً أو غير حقيقي، وإنّما الأهميّة الكبرى تجاه ذلك أن يعتقد المرء بحقيقته.

الحقـيقة والإيمـان بحقيقة أمر: هما عالمان متصلان من أهمـيّات غريبة إحداهما عن الأخرى؛ شبه عالمين متعاكسين، يُقصد كلّ منهما عبر طريقين مختلفين بالكليّة. ومعرفة هذا كان تقريـباً خلاصة الحكمة في الشرق: هكذا فهمه البراهمة وهكذا فهمه أفلاطون وكلّ تلامذة المعرفة الباطنيّة.

وإذا ـ كمـثال ـ وُجـدتْ سـعادةٌ في الاعتقاد بتحرّرٍ من الخطيـئة، فإنّ هذا لا يقتضي كمقدمة منطقيّة أن يكون الرجلُ خاطئاً حقّاً، بل أن يحسب نفسه خاطئاً.

لكـن ـ فوق الكل ـ إننا لنحتاج إلى الإيمان فحينئذ يتوجّب نفـي الـثقة بالعقل والمعرفة والتقصّي[1]؛ والطريق نحو الحقّ يصير طريقاً ممنوعاً.

الرجاء المكين، هو حافز أكثر قوّة إلى الحياة من أية سعادة حقيقيّة ممارسة.

من يعانون يجب أن يُسندوا بالرجاء الذي لا يمكن لأيّ واقع أن يجعله باطلاً، ولا لأيّ إنجاز أن يرمي به جانباً. إنه الرجاء بالآخرة. (وبالتأكيد، وبسبب هذه القدرة على إسلاء التعساء فإنّ الأمل والرجاء، بنظر اليونان، يعني شر الشرور، الشرّ الخوّان بحـقّ، وقرارة صندوق الشرور)[2] لجعل المحبّة ممكنة، يجب أن يصـير الله إنساناً، وحـتى تبقى تلك الدوافع الأكثر حظّة مصانة، يجب على ذلك الإله أن يكون شاباً. ولأجل حمية النساء يجب أن يوضع في الواجهة قديسٌ حلوٌ، وعذراءُ لأجل الرجال. هـذا يوطّـد الافتراض بأنّ المسيحية قد طمحت للسيطرة على

[1] هذا علامته في عبارة ترتليانس: أؤمن لأنه مستحيل

[2] الإشارة هنا إلى صندوق باندورا

بقـــاع كانت فيها عبادات *أفروديت* و*أدونيس*[1] قد عيّنت مفهوم العبادة.

إنّ ضرورة العفاف تُشدّد الحُمّيا وعمق الدوافع الدينيّة، لأنها تجعل العبادة أكثر حرارة وتمجّدًا وحساسية

الحـــبّ حالـــة فيها الرجل، على الأغلب، يرى الأشياء كما ليســـت هـــي. القـــوّة الخدّاعة هي هنا في ذروتها، يمثّل القدرة المعسولة المغيّرة للهيئة.

من يحبّ يحتمل على العموم أكثر، ويسامح بالكليّة.

لقـــد وجب ابتداع دين يمكن فيه أن تكون ثمّة محبّة: وهكذا فإنّ المرء يعلو على جميع سوءات الحياة، ولا حتى يشعر بها.

لأنّ هذا يتعلّق بالفضائل المسيحيّة الثلاث: الإيمان، والمحبة، والرجاء. تلك التي أدعوها أنا بالحذاقات المسيحيّة.

---

(1) لا داعي للإطناب في تفصيل أسطورة أدونيس وأفروديت فهي معروفة. المهمّ رمزها إلى دورة الطبيعة والجفاف وعودة الخصب. وإنه وإن اختلفت الأســـماء بين تموز وأدونيس وأتيس وإيزيس قبلها وكما يقول جيبون تدور كلّها على ذات العبادة. راجع فريزر جزء أدونيس من كتابه الغصن الذهبي وما فيه من تفاصيل لانتشار هذه العبادة حتى كانوا في هيكل يهوه ينوحون عليه باسم تموز.

الـــيونانيّة باللغة النضج ووضعيّة على نحو كافٍ، كيلا يمكنها أن تكون "حكيمة" على هذه الطريقة.

- 24 -

هـــنا فقط أريد أن ألامس مشكلة نشوء المسيحيّة. والاقتراح الأوّل لحـــلّ ذلك يقول: المسيحيّة يمكن فهمها فقط انطلاقًا من الأرض التي نشأت فيها.

إنّهـــا ليســـت انتهاضـــاً ضدّ الفطرة اليهوديّة، بل بالعكس، نتيجتها ذاتها، ومنطقها المهيّب مؤدّىً به إلى خاتمة لازمة.

وفي وصفة المخلّص نفسه: ((الخلاص يأتي من اليهود)) [1].

الوصـــفة الثانـــي تقـــول. النمط النفسي للجليليّ مع كونه معـــروفاً، لكـــنّما فقط في انحطاطه الكياني التام (الذي هو في الوقـــت عينه بتر وتجسيد لحشد من الملامح الغريبة) يمكنه أن يصلح لما لأجله قد كُرّس، لأجل نمطٍ من فادٍ للبشرية.

كـــان اليهود الشعب الأكثر فرادة في تاريخ العالم، ذلك أنهم تجـــاه التســـاؤل عن الوجود أو العدم قد فضّلوا باقتناع كلّي لا

---

(2) يوحنا4 22

يتزعزع الوجود بأي ثمن: وهذا الثمن كان جعل الطبيعة كلّها زائفة، وتزييف كلّ ما هو طبيعيّ، وواقعي، وتزييف كلّ العالم الداخلي على ذات طريقة تزييف العالم الخارجيّ.

راسمين حدّاً ضد كلّ الظروف التي أمكن للشعوب بموجبها أن تحيا، والتي أتاحت لها حتّى حينها أن تبقى، خلقوا انطلاقاً من أنفسهم مفهوماً مناقضاً للظروف الطبيعيّة.

هم قلبوا بالتدريج الدين، والعبادة والأخلاق، والتاريخ وعلم النفس بطريقة لا يمكن علاجها، ومناقضة لقيمها الطبيعيّة.

نصادف هذه الظاهرة مرّة أخرى، وبظروف واضحة تماماً، مع أنّها على كلّ حال فقط نسخة محضة: الكنيسة المسيحيّة تفتقر بالمقارنة مع شعب المباركين إلى كلّ ادّعاء بالأصالة. فأكيدٌ بسبب هذا أنّ اليهود هم الشعب الأكثر شؤماً في التاريخ

في تأثيرهم اللاحق خلقوا الإنسانيّة الأكثر زيفاً، حيث مع أنّه إلى اليوم يشعر المسيحيّ بذاته في مناقضة لليهوديّة، إنما دون أن يدرك كونه النتيجة الأخيرة لليهوديّة.

في سلالات النسب التي وضعَها للأخلاق[1]، قدّمت نفسياً — للمرّة الأولى — مفهوم التعارض بين أخلاق أرستقراطيّة

[1] في كتابه أصل الأخلاق.

وأخلاق حاقدة، وهذه الأخيرة تنبثق من ((اللا)) المعلنة تجاه الأولى: لكن هذا بشكل كامل هو الأخلاق اليهود ـ مسيحيّة.

وحتّى يكون ممكناً قول لا لكلّ ما يمثّل النشاط المتصاعد للحياة، وللتناغم المفلح، والعزم، والجمال، وتوكيد الذات على الأرض، فإن طبع الحقد، يتحول بدهاء، ليبتدع عالماً آخر انطلاقاً من إظهار ذلك التأكيد للحياة كشر، وكأمر مستهجن في ذاته.

منطلقاً من منظور نفسي، فالشعبُ اليهودي هو شعب ذو قوّة حيوية متعنّتة، والذي إذا وجد تحت ظروف غير محتملة، انحاز بعزم، انطلاقاً من قرارات ذكائه، إلى حفظ ذاته، وإلى كلّ غرائز الانحطاط، لا كمحكوم بها بل لأنّه توسم فيها قوّة تعينه كي يفرض وجوده تجاه العالم.

اليهود هم في المكان المعاكس لكلّ المنحطين: لقد أمكنهم أن يمثّلوا دور المنحطّين حتّى نقطة خلق الوهم بأنهم منحطون، وقدروا مع اللا المنكرة للآخرة، يعلنها ممثّل عبقري، أن يضعوا أنفسهم في رأس زاوية كلّ حركات الانحطاط (كمسيحيّة *بولس*) لكي تمتلك القدرة على أن تخلق منهم شيئاً أكثر قوّة من أي مذهب آخر يؤكد الحياة.

عند هذا النمط من الناس الذين ـ في المسيحية واليهودية ـ يتوقون إلى القوة عبر طريقة كهنوتية: فإنّ الانحطاط هو فقط وسيلة.

هذا النمط له مصلحة حيوية في جعل البشرية مريضة، وفي قلب مفاهيم ((خير)) ((شرّ)) ((حقيقي)) ((باطل)) بشكل خطر على الحياة ومفترٍ على العالم.

- 25 -

تاريخ إسرائيل يملك قيمة لا تقدّر كتاريخ نمطي لتغيير طبيعة القيم الطبيعية؛ سأشير إلى خمسة أعمال في هذا.

بدئياً، وقبل أيّ شيء في أزمان الملوك، إسرائيل ساندت علاقة صحيحة مع كلّ الأشياء، هذا يعني علاقة طبيعية، "ويهوه ـ هم"، كان تعبيراً عن ضمير القوّة، وعن الفرح ذاته، وعن الأمل المكنون فيه: منه يُنتظر النصر والخلاص، ومعه يُوثق بالطبيعة كي تعطي الشعب ما يحتاج إليه؛ وفوق الكلّ المطر.

"يهوه" هو إله إسرائيل، بالنتيجة إله القضاء: هذا هو المنطق لكلّ شعب في حالة قوة ويمتلك إدراكاً جيّداً بهذه القوّة.

في احتفالات العبادة تجلّى هذان المظهران لتأكيد الذات عند الشعب:

إنّه مغتبط وممتنّ بالأقدار الكبيرة التي بفضلها قد امتلك القوّة، وممتنّ لاتّصاله بتتابع الفصول وبتوفيقه في تربية المواشي وفي الزراعة.

حالة الأشياء هذه بقيت لزمن طويل معتبرة كمثال، وكذلك عندما صارت زائلة بطريقة محزنة. بسبب الفوضى في الداخل وبسبب الآشوريين من الخارج. لكن الشعب بقي يغذي كرغبة قصوى (وأمل أسمى) رؤيا ملك هو جنديّ حقّ وحكم صارم وبالإضافة إلى ذلك احتفظ بذلك النمط النبوي (والذي يعني الانتقاد والتقريع في الحال) والذي يدعى *أشعيا*.

لكن كلّ الانتظار بقي غير مرضٍ. «إله قد هرم ولم يعد يقتدر بعدُ أن يفعل شيئاً ممّا كان قبلاً مقتدراً على فعله. لقد وجب أن يترك وشأنه. ماذا حدث؟ مفهومه تغيّر ـ وبدّلت طبيعته ـ وبهذا الثمن استُمسك به.

يهوه إله القضاء لم يعد بعد كوحدة مع إسرائيل وكتعبير عن الشعور الذاتي لشعب، لكن فقط كإله مشروط بالأحوال.

مفهومه تحوّل إلى أداة في أيدي الكهنة المثيرين للفتنة، الذين من الآن وصاعداً، فسّروا كلّ سعادة كأنّها ثواب وكلّ نكبة

كعقاب لعدم الطاعة لله، ونتيجة للخطيئة؛ تلك الطريقة التي هي أساساً الأكثر خداعاً في التأويل، وفي افتراض ((نظام أخلاقي للعالم))، بها، ودائماً، تغيّر المفهوم الطبيعي للـ ((سبب)) و((التأثير)).

بمّا أُبعدت ـ بواسطة المكافأة والعقاب ـ المصادفةُ الطبيعيّة عن العالم، فحينها يُحتاج إلى مصادفة مضادة للطبيعة، منذ الآن كلّ ما هو مضادّ للطبيعي يتّبعها.

وهكذا فمكس الإله الذي يساعد، والذي يحلّ كلّ مصيبة، ويشير، والذي هو في جوهره يجسّد العقل لكلّ سعادة ملهمة في الإقدام، وفي الثقة بالنفس، يحلّ إله مُلزِم..

الأخلاق لم تعد بعد تعبيرا عن ظروف حياة ونموّ شعب، وليست بعد تمثيلاً لغرائزه الحيوية الأكثر عمقاً، وإنّما تحولت إلى شيء مجرّد، وإلى سوء أساسي في التخيل، إلى ((عين شريرة)) تجاه كلّ شيء.

ما هي الأخلاق اليهودية، ما هي الأخلاق المسيحيّة؟ المصادفة تضيّع براءتها، والحياة ذات الوفرة تُظهر كغواية خطرة،والجسد المعتلّ يُسمّم بالدودة القارضة، للضمير المؤنّب.

- 26 -

لم يتوقف الكهنوت اليهودي عند تزييف مفهوم الله، ومفهوم الأخلاق، بل أيضاً:

"لا يمكننا أن نستفيد من كلّ تاريخ إسرائيل، فلنرمه بعيداً".

هكذا قال هؤلاء الكهنة.

وهؤلاء الكهنة يحققون تلك الأعجوبة التزيفيّة التي نجد شهادتها تشكّل جزءاً كبيراً من التوراة:

لقد ترجموا إلى دينيّ ماضي شعبهم، باستخفاف لا شبيه له بكل تقليد، وبكلّ واقعية تاريخية؛ بمعنى أنهم عملوا منه آلية غبيّة لخلاص مؤسّس على العقاب الذي ينزله يهوه بمن أخطأ إليه، وعلى المكافأة التي تثبت وتعزّي أولئك الذين يطيعونه.

ولسوف نشعر بهذا الفعل من التزييف المخزي للتاريخ، بطريقة أكثر إيلاماً، إنْ لم يكن التأويل الكنسي للتاريخ عبر القرون قد جعلنا لا مبالين تجاه مستلزمات القضايا التاريخيّة.

إنّ الفلاسفة يخدمون عونهم للكنيسة. إنّ كذبة ((النظام الأخلاقي للعالم)) تتسرب عبر كلّ تدرّج الفلسفة حتى أحدث الفلاسفة.

ماذا يعني ((النظام الأخلاقي للعالم))؟

يعني أنه ــ من بدء الأمر ــ يوجد إرادة إلهية تعين ما الذي يجب أن يفعله الإنسان وما لا يجب أن يفعله، وأنّ قيمة شعب أو شخص، في كثير أو قليل، تقاس بمقدار ما تطاع الإرادة الإلهية، وأنّ في مصير شعب أو شخص، تظهر الإرادة الإلهية كمتحكم، أي كمعاقب أو مجازي، وبحسب درجة الطاعة

الواقــع الكامــن وراء هذه الكذبة المؤسفة يعني: ضرباً من البشر المتطفلين، يُفلح وحده في تقييم كلّ الأشياء المقدّسة للحياة.

الكاهن يسيء استعمال اسم الله ويدنّسه: يدعو ((مملكة الله)) حالة الأشياء حيث يقرّر هو قيمتها، و((إرادة الله)) تلك الوسائل التي بها يُحصّل ويحتفظ بتلك الحالة.

وبكلبيّـة ذات دم بــارد، يحكــم علــى الشعوب والأزمان والأشخاص بمقياس مساعدتها أو عرقلتها للسيادة الكهنوتيّة.

ليس ثمّة ما نلاحظه أكثر من عمل أولئك الكهنة:

تحــت يــد الكهنــة اليهود، فإنّ الحقبة العظيمة من تاريخ إسرائيل تحوّلت إلى فترة انحطاط المنفى من مصر، والمصائب المتطاولة شُكّلت بهيئة عقاب أبدي للفترة العظيمة التي كان فيها الكاهن لا يساوي شيئاً.

هــم حوّلــوا تلك الشخصيّات القديرة والعظيمة الحريّة في تــاريخ إســرائيل (وبحســب الضــرورة) إلى منافقين بائسين

ومرائين، أو ((كافرين)) لقد بسطوا ذاتيّة كلّ الأحداث العظيمة، مختزلين إياها في صيغة بلهاء: ((بطاعة الله أو عدم إطاعته)).

خطوة أخرى بعد على هذا الطريق: إرادة الله ــ وهي تعني الظــروف التي بموجبها تبقى سطوة الكهنة موطّدة ــ يجب أن تُعرف. لأنّه من أجل هذه الغاية يجب أن يوجد ((تنزيل))

بالألمانية الواضحة: وجدت حاجة إلى أدبيّات مزوّرة، وإلى اكتشاف ((كتابات مقدّسة))، وفي ظلّ أبهة طقسيّة عارمة تُنشر فــي أيّــام كفّارة ومع صرخات مُعْوِلة في شكوى من الخطيئة المتطاولة[1].

إرادة الله بقيــت ثابتة عبر زمن طويل، لكنّ المصيبة الذكية كانت أنّ الشعب بقي مبتعداً عن الكتابات المقدّسة.

لموسى قد كشفت ((إرادة الله)).. ماذا حدث؟

بتشــدّد وبتــنطّع صاغ الكاهن حتّى كلّ كبيرة وصغيرة من الفرائض التي يجب أن تقرّب، (دون نسيان قطع اللحم الأطيب، ذلك أنّ الكاهن هو أبداً آكّالُ بفتيك لحم) وما يريده أن يكون، هو ((إرادةً إلهيّة)).

منذاك، كلّ أمور الحياة تغدو منظّمة بهذه الطريقة التي تجعل الكاهن ضرورة لا غنى عنها.

---

[1] يقصد ما فعله عزرا.

في كلّ مكان، في كلّ أحداث الحياة الطبيعيّة، في الولادة، في الزواج، في المرض، والموت، حتّى لا نتكلم عن الذبيحة (التي للأكل)، يظهر المتطفّل المقدّس لينزع عنها سماتها الطبيعيّة- لـ ((يقدّسها))!

لأنّه يجب أن نفهم هذا: كلّ عادة طبيعيّة، كلّ تنظيم طبيعي (الدولـــة، المحكمـــة، الـــزواجات، تجنب المرض والفقر) كلّ ضرورة نابعة من غريزة الحياة، وفي النهاية، كلّ ما يملك قيمة فـــي ذاتـــه، يُميَّز عبر تطفّل الكاهن (أو عبر "النظام الأخلاقي للعالم") إلى شيء يفتقد أساساً إلى القيمة، أو أنّه يضادّ القيمة.

ومن ثمّ فثمة حاجة إلى تصديق، وضرورة لمقتدر مقيِّم، هو منكرٌ للطبيعة ورافضٌ لها في تلك الأمور، وخالق بالتأكيد لقيم.

الكاهـــن لا يقيم وزناً للطبيعة ولا يقدّسها. بهذا الثمن عموماً يبقى.

مخالفة الله، وهذا يعني مخالفة الكاهن والشريعة، تُوْصم الآن باسم ((الخطيئة)).

وسائط العودة للوفاق مع الله، هي بكلّ وضوح، وسائط يبقى معهـــا الخضـــوع للكهـــنة الضمانة الأكثر عمقاً: وحده الكاهن ((يخلِّص))...

منطلقاً من تقييم نفسي، فإنّ ((الخطايا)) عند كلّ شعب منظَّم كهنوتـــيّاً تغدو أمراً لا غنى عنه وضرورياً.. تلك الخطايا هي الأدوات الحقيقيّة لبلوغ السلطة، والكاهن يحيى من تلك الخطايا، ويحتاج إلى أن يوجد خطأة.

مـــبدأ أعلى: ((الله يغفر لمن يكفّر عن ذنوبه))؛ وبقول أكثر وضوحاً: يَغفر لمن يخضع للكاهن.

- 27 -

فوق أرضية زائفة إلى هذا الحدّ ــ حيث كلّ الطبيعة، وكلّ قـــيمة طبيعيّة، وكلّ واقعية، تجد إزاءها، كضدّ، الغرائز الأكثر عمقـــاً لجنس متحكّم ــ ترفع المسيحيّة شكلاً من بعضاء حالدة تجاه الواقعية بطريقة لم يُتفوّق عليها حتّى الآن.

((الشـــعب المقدّس)) الذي تجاه كلّ الأشياء يحتفظ فقط بقيم كهنوتيّة وكلمات كهنوتيّة وبمنطق متماسك يمكن أن يلقي خوفاً، ينفصل عن ذاته ــ كـ ((لا مقدّس)) وكـ ((عالم دنيوي)) وكـــ ((خطيئة)) ــ كلّ تلك القوى التي مازالت فوق الأرض.

هـــذا الشـــعب يستسيغ لدوافعه صياغة أخيرة، منطقيّة حتّى إنكار الذات

لقـــد رفـــض ــ كمسيحيّة ــ حتّى الصياغة الأخيرة للواقع، الشعب المقدّس، شعب المختارين، أي ذات الواقع اليهودي.

هـــذه القضيّة هي من الدرجة الأولى: إنّ الحركة المتمخضة الـــثائرة الصغيرة، معمّدة تحت اسم *يسوع الناصري*، هي مرّة أخرى الغريزة اليهوديّة، وبمصطلح آخر، غريزة الكاهن التي لم تعـــد تحـــتمل الكاهن كحقيقة؛ هي الاختراع بشكل وجود أكثر تجريدًا، وبرؤيا أكثر لا واقعية للعالم، وهي لاواقعيّة تجاوز تلك المتصمّنة في تنظيم كنيسة: المسيحيّة تنكر الكنيسة

لســـت أعـــرف ضدّ من وُجّه ذلك التمرّد الذي يعدّ يسوع – صـــوابا أو خطـــأ ــ ســـبب له، إن لم يكن تمرّدا ضدّ الكنيسة الـــيهوديّة معطيا للكنيسة بالضبط المعنى الذي نتناوله اليوم في هـــذه الكلمة كان تمرّدا ضد ((الصلاح والعدل)) ضد ((قديسي إســرائيل)) ضـــدّ زعامات المجتمع؛ ليس ضدّ فساده، بل ضدّ الســـلالة، ضـــدّ الامتـــيار، ضدّ التنظيم، والصياغة، كان شكا بالإنسان الرفيع، وقولة لا في وجه كلّ الكهنة والربّانيّين.

بيد أنّ الزعامة التي وُضعت هكذا في موضع الشكّ والحكم علـــيها، مع أنّ هذا كان للحظة، كانت: الكوخ المرفوع للشعب

اليهودي فوق المياه، والإمكانيّة الأخيرة العسيرة للتمسك بالبقاء، وبقيّة وجوده السياسي الخاص المتشبث.

إنّ هجومـــاً علـــيها كـــان هجوماً على الغريزة الأكثر عمقاً للشعب، وعلى الإرادة العنيدة للحياة في شعب لم يوجد له نظيرٌ أبداً فوق وجه الأرض.

هذا الفوضويّ القدّيس الذي دعا أسافل الشعب إلى الانقلاب علـــى النظام المسيطر، ودعا المنبوذين و((الخطاة)) والطبقات الدنيا اليهوديّة– وبلغة، هي في حال التصديق للإنجيليّين، تقود حـــتّى فـــي يومـــنا هذا رجلاً للنفي إلى سيبيريا ــ كان مجرماً سياســـياً، حـــتّى بالقياس إلى أنّ الجرائم السياسيّة كانت محتملة داخل مجتمع هو بالإطلاق غير سياسي.

هـــذا مـــا أوصـــله إلى الصليب، والإثبات عليه كان اللافتة المعلقة فوق الصليب: مات بسبب خطيئته.

لـــيس ثمّـــة سبب للاعتقاد ــ مع تكرار تأكيد هذا ــ أنّه قد مات بسبب خطايا الآخرين.

- 28 -

ثمّة سؤال مختلف بالكلّية: إن كان هو حقّاً مدركاً وواعياً لهكذا مناقضة، أو أنّه ببساطة قد عُدّ كمناقضة.

وإنّي لألمس هنا فقط، المشكلة النفسيّة للفادي..

وأعترف بأنّي لم أقرأ سوى كتباً قليلة صعبة كما الأناجيل. وهذه الصعوبات هي بعيدة في طبيعتها عن تلك الصعوبات التي بخاصّة التدليل عليها، فإنّ الاستطلاع المثقّف للذهنية الألمانية قد أفلح في إحراز واحد من انتصاراته التي لا تنسى.

بعيدة هي الحقبة التي فيها أنا أيضاً، كما بقيّة الشباب المتعلّم، تذوّقت بعقليّة ذكيّة متأنّية لفقيه لغوي حصيف عمل *"شتراوس"*[1] الذي لا يضاهى. كنت يومها في العشرين من عمري. واليوم أنا بالغ الجدّيّة تجاه هذه الأمور. فبأيّ شيء تهمّني مناقضات التراث التقليدي؟ وكيف يستطاع أن تُدعى خرافات القدّيسين تلك تقاليد؟

[1] في عام 1864 قرأ نيتشه بحماسة في بون "حياة يسوع" (6- 1835) تأليف دافيد فريدريك شتراوس، اللاهوتي والهيغلي اليساري [P].

حكايات القدّيسين هي الأدب الأكثر التباساً وضلالة الذي يمكن أن يوجد!

باستخدام المنهج العلمي، وفي غياب أيّة شهادات أخرى، تبدو لي أمراً محكوماً مسبقاً:

إنّها مضيعة وقت محضة للفقهاء.

- 29 -

ما يهمّني هو النمط السيكولوجيّ للفادي.

وهذا النمط أمكنه الظهور في الأناجيل رغماً عنها، حتّى لو شُوّه وأُثقل بالقسمات الغريبة التي للأناجيل. ذاك كما شخصيّة *"سان فرنسيسكو دي أسيزي"* التي يظهر بها في خرافاته رغماً عن تلك الخرافات.

ليس ما يهمّني حقيقة ما فعله يسوع، وما الذي قاله، وكيف مات في الواقع، وإنّما يهمّني إن كان نمطه إلى الآن ممكن التخيّل والإدراك والانتقال بالتقليد.

تلك المحاولات التي أعرفها بدءاً من قراءة الأناجيل حتّى قصة ((نفس)) تبدو لي دلائل لنفسيّة طائشة مستنكرة

السيد رينان، هذا المهرج النصاني، أضاف المفهومين غير الملائمين، الممكن تخيلهما في هذا الصدد حول التفسير المتعلق بنمط يسوع: مفهوم العبقري، ومفهوم البطل.

لكن إن وجد ثمّة مفهوم لا إنجيلي فذاك هو مفهوم البطل. وبعيداً، فإنّ المضادّة لكلّ صراع، ولكلّ شعور ذاتي بالصراع تحوّل هنا إلى غريزة وطبع: العجز عن المعارضة والمقاومة ينقلب هنا أخلاقاً ("لا تقاوم الشر" تلك هي الحكمة الأكثر عمقاً في الأناجيل، ومفتاحها، بمعنى مؤكد).

المسرّة في السلام، والوداعة، وفي عدم القدرة للصيرورة معادياً.

ماذا تعني البشارة؟

الحياة الحقيقيّة، الحياة الأبديّة، توجد — لا كوعد، بل كوجود حقّ — هنا في نفوسنا:

كحياة في المحبّة، في المحبّة بلا تحفظات، بلا شروط وبلا استبعادات.

الجميع هم أبناء الله — ويسوع لم يدّع شيئاً لذاته على الإطلاق — وكلّ رجل هو كابن لله مساوٍ لكلّ رجل آخر.

جَعْل يسوع بطلاً! وأيّ فهم مسيء تشير به الكلمة ((عبقري))!

كلّ مفهومنا، كلّ مفهوم حضارتنا عن ((العبقرية)) لا يملك أيّ معنى في العالم الذي عاش فيه يسوع.

وللتكلّم بصرامة عالِم بوظائف الأعضاء، فالأكثر صواباً أن تكون بدل كلمة عبقري كلمةٌ مختلفة كليّة: كلمة معتوه.

نحن نعرف حالة من سرعة التهيّج المرضي لحاسة اللمس، حيث يُرتَجف ويُرتدّ أمام أية ملامسة، وأمام فكرة إمساك أيّ شيء صلب.

إن عادة فيزيولوجيّة كهذه تترجم إلى نهايتها المنطقيّة، كغريزة بغض ضدّ كلّ واقعيّة، كهروب إلى ما لا يُعرف وإلى ما لا يمكن فهمه، ككره لكلّ صياغة، ولكلّ مفهوم للزمان والمكان، كضدّ لكلّ ما هو صلب، معتاد، منظّم، كنيسة، وكشعور ذاتي بأنّها في منزلها عندما تكون في عالم غير ملموس بأيّ نوع من الواقعيّة، عالم فقط هو ذاتيّ جوانيّ، عالم ((حقيقي!))، عالم ((سرمدي)).. "ملكوت الله داخلكم"[1].

---

[1] في لوقا 17:20-21 "ولمّا سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتي ملكوت الله بمراقبة* ولا يقولون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك لأنّ ها ملكوت الله داخلكم" ولكن بعض القراءات تورد بينكم أو قريب منكم، ونعرف أنّ المعمدان ويسوع كانا يعظان باقتراب الملكوت.

- 30 -

الكره الغريزي للواقع: نتيجةٌ لقدرة متطرفة للمعاناة والتهيّج، التي لا تريد إطلاقاً أن تكون ملموسة، لأنّ أي تماس مع الواقع ولمس، يؤدي إلى شعور مفرط ورد فعل عميق.

الاستبعاد الغريزي للتبغّض، ولكلّ عداوة، ولكلّ محدودية وتجاذب في المشاعر: ينتجُ من قابلية متطرّفة للمعاناة والتهيّج، والتي تشعر بكلّ مقاومة، وبكلّ ضرورة للمقاومة، كمنافاة للمسرّة لا يمكن احتمالها (هذا يعني: كضرر وتهوّر معاكس في غرائز حفظ الذات) وتدرك الغبطة الممجّدة فقط كتحقّق في عدم ـ المقاومة لأيّ شيء أو لأي أحد، لا للمصيبة ولا للشر، وتدرك المحبّة كإمكانية وحيدة وأخيرة للحياة.

هذان هما الواقعان الفيزيولوجيان اللذان فوقهما وبهما نمت عقيدة الخلاص. إني أدعوها تطوّراً رفيعاً لمذهب اللذّة[1] فوق أرضية ممرضة بالكليّة. وبقرابة باطنية معها، ورغم الدعم

[1] عقيدةٌ بحسبها سعادة ومقصدية الفرد، وذات الأمر معيار الأخلاق عموما، توجد فقط في الشعور باللذة.

المقوّي من الحيوية والطاقة العصبيّة اليونانية، تقوم الأبيقورية[1] التي هي عقيدة الخلاص الوثنية.

أبيقور كان منحطّاً نمطيّاً: لقد كنت الأول في معرفة كيف كان. إنّه الخوف من الألم حتى من أصغر قدر من الألم وهذا المذهب لا يقدر أن ينتهي بأيّة طريقة إلاّ إلى ديانة المحبّة.

- 31 -

لقد قدّمت فيما سلف جوابي عن المسألة.

وقد تأسس الجواب على هذه المقدمة: أنّ شخصيّة مخلّص قد وصلت إلينا متحوّلة الشكل بقوّة. وهذا التحوّر الشكلي تقوم فيه احتمالية كبيرة؛ فلأسباب عدّة فإنّ هكذا شخص لا يقدر أن يبقى نظيفاً، كاملاً، حرّاً من التزيّدات.

وكما كان الوسط الذي تحرّك فيه ذا هيئة غريبة، وكذلك، فوق الكلّ، التاريخ وطبيعة الجماعات البدئية المسيحية، كان

[1] يذهب أبيقور الى انّ اللذّة شرطٌ للسعادة ولكنّها تلك اللذة غير المصحوبة بألم وعلى هذا تقتضي الحكمة. لكن ومادام أبيقور يرى في اللذة خيراً طبيعيا أصيلا فإنّ الكنيسة رفضته باعتبار هذا الفروع نزوعا سيئا، لكن ما يقوله نيتشه هنا يلقي ضوءاً من جهة أخرى على المسألة بينهما

واجباً أن تترك آثارها فيه، فلقد انعكست هذه الطبيعة فوقه، وأعطته سمت كائن ممكناً أن تدرك فقط في الصراع وفي مرامي الدعوة.

ذلك العالم العجيب والمعتل الذي تدخلنا إليه الأناجيل عالم كما لو أنّه متأتٍ من رواية روسية، حيث تبدو قد تلاقت رذالة المجتمع والعاهات العصبيّة، والبلاهة "الطفليّة"[1] ـ وجب على كلّ حال أن يترك ذلك الشخص أكثر رعاعيّة وخشونة:

أولـئك الرسل الأوائل، على وجه الخصوص، ترجموا إلى خلافتهم وجودا يعوم كليّة عبر الرموز والأشياء غير الممكنة الفهم، وذلك للتمكن من فهم شيء عنه.

وعندهم أنّ نمط المخلّص فقط يوجد بعد أن يتمكّن من التواؤم شكليا مع هيئات معروفة أكثر... النبيّ، المسيح، الحكم الآتي، معلّم الأخلاق، صانع المعجزات، يوحنّا المعمدان، كانوا كذلك إمكانات لعدم التعرّف عليه والخطأ في صورته.

لسنا نستهين في النهاية، بما هو خاصٌّ بكلّ التوقيرات الكبيرة، وبالأخص بين المتعصّبات: إنّها تمحو من الموجودات المحترمة الملامح والمميزات الأصليّة، التي غالبا تكون مصبية الغرابة،بل إنّها ليست حتّى تراها

[1] إشارة إلى رواية الأبله (1868) لديستويفسكي

ممّا يؤسف له أن دستويفسكياً لم يحيَ قريباً من الأكثر إثارة بين كلّ المخطئين؛ أعني بعض من يمكنه أن يدرك الشعور المؤكد بالتأثير الجاذب لخليطٍ من الرفعة والمرض والطفولية

نقطة أخيرة للنظر هذه الشخصيّة فيما يتعلق بالانحطاط، يمكنها أن تكون بالفعل متصفة بتعدّدية ومناقضة فرديّة، وهكذا إمكانية لا يمكن أن تستبعد بالكليّة. مع ذلك كلٌ يغري باطّراح هذا وبكلّ تأكيد، فإنّ التقليد يجب أن يكون في هذه الحالة، وبتميّز، أميناً وموضوعيّاً، بينما نمتلك أسباباً لافتراض العكس بحقٍ.

وسراعاً ما تظهر مناقضة بين المبشر في الجبال والبحيرات والسهول ذي الهيئة المدانية ليبدو فوق أرض أبعد ما تكون عن الهندية فتعطي تأثيراً غريباً، وبين ذلك المتشدّد المهاجم، العدوّ اللدود للربّانيين والكهنة، والذي مجّده خبثُ رينان بوصفه ((المعلّم الأكبر في الاستهزاء))[1].

شخصيّاً، لست أشكّ أنّ هذا القدر الوافر من الصفراء (وكذلك الألمعيّة) قد صُبَّ فوق شخصيّة المعلّم من قبل الهمّة المُهاجة للتبشير المسيحي. لقد صار معلوماً تماماً، النقص في

[1] شاهد من رينان "حياة يسوع" 1863 [P]

التدقيق المتحرّج عند كلّ المتعصبين الروحيين عند تنظيم "دفاعهم" من خلال المعلّم.

عندما كانت الجماعة الأولى محتاجة، ضدّ علماء اللاهوت، للاهوتي متشدّد، حماسيّ، غضبيّ، لوذعيّ الكلام متحايث، فإنها حلّقت "إلهها" تبع حاجاته، وبدأت الطريقة وضعت في فمه، دون أدنى تردّد، تلك المفاهيم، التي هي كليّة لا إنجيليّة، والتي لا يمكن اجتنابها والاستغناء عنها: كمفهوم "العودة" و"الدينونة الأخيرة" وكلّ صنف من الآمال والوعود الزمنيّة.

ـ 32 ـ

أعارض بإلحاح، مرّة أخرى، فعل تضمين "المتعصّب" في شخصيّة الهادي المخلّص:

تلك الكلمة الوحيدة ((المتعجرف)) يستخدمها رينان تكفي بذاته لإلغاء تلك الشخصيّة

تقوم البشارة، بالضبط، على أنّه ليس ثمّة تعارضات، وعلى أنّ "مملكة السماوات" خاصة الأطفال.

الإيمان المستشعَر هنا ليس إيماناً مكتسباً عبر الصراع وفي المعركة، إنّما يوجد عبر مبدأ، وإنه يقول أكيد صبيانيّة مرتدة صوب الحقل الروحي ومتعلق به.

حالة البلوغ المتأخّر وغير النامي في العضوية، كنتيجة للتكسّ الجسدي، هي حالة مألوفة، على الأقل عند الفيزيولوجيين.

هكذا إيمان لا يحتدم ولا يقرّع، ولا يقاوم، وليس يمسك (بالسيف)، ولا حتّى تراوده فكرة أن يتمكن يوماً من أن يبدعد بين الناس. وإنّه ليس يثبت ذاته لا عبر العجائب، ولا عبر المكافأة، ولا الوعود المؤمّلة ولا بالأدنى عبر ((الكتاب المقدّس)): هو ذاته في كلّ حين عجيبته، مكافأته، وتوكيده، و"مملكة الله".

هذا الإيمان لا يصوغ ذاته البتّة، وإنّه ليحيا ويحامي عن ذاته بدفع الصياغة عنها.

في الواقع، فإنّ تقلبات المحيط واللغة والتكوينات التربوية السابقة تشكّل دائرة مؤكدّة من المفاهيم. المسيحيّة الأولى تستخدم فقط مفاهيم يهود ـ ساميّة (وكمثال فإنّ الأكل والشرب في العشاء السرّي تشكّل جزءاً من هذه المفاهيم، والتي كحال كلّ يهودي، فإنّ الكنيسة تستعملها بطريقة بالغة السوء).

ولكن يجب الحذر من أن يرى في تلك المفاهيم أكثر من لغة رمـــزية، أو أكثر من سيميائيّة، أو حالة تتيح التعبير من خلال استعمال الاستعارات.

إنّ واقعـــة عدم أخذ الكلمة حرفيّا، هو عند أولئك المصادين للواقع، هو بالضبط الطرف الأوّلي للتمكّن من الكلام عموماً.

بين الهنود استعملت الأفكار السنخيّة[1] وبين الصينيين أفكار لاوتسو[2]، دون الشعور بأدنى تخالف.

[1] تعنـــي السانـــخيا العـــدد، وفيها مثلا العناصر الأربعة والعشرين التي تتطلب منها المادة. هذا المذهب قد وجد عرضه المنهجي في السانخيا ــ كاريكـــا العـــائد إلى القرون الأولى بعد أوغسطس وقد تخلّى المذهب عن الوحدانـــية البرهمانـــية وقرّر وجود ثنائية أزلية: مادية وروحية. وهذا ما يشكل تناقض في الفكر الهندي المفكر في عمومه للعالم، وإلى حلول الإبقاء على النفس.

[2] الطاوية تشـــكل في الصين خروجاً عمّا في فكر الصين عموماً من لا روحانية سريّة صوفية. فكونفوشيوس لم يكن نبيّا ــ وهذه عظمته وعظمة الصـــين معـــه ــ بل معلّماً. أما لاوتسو فيعرض في التاو تي كنغ عقيدته الروحانـــية، إذ التاو هو المطلق، السرّي بالمطلق، هو الحقيّ غير المعرّف باسم، الذي لا يسبر له غور ولا يتصوّر أو يمكن تحديده. والفضيلة الخاصة بالـــطاوية هي فضيلة السلوك في الطريق السرّي للخلاص. وما أشدّ تناقض التاو مع ذهنية الصين، فليس غريبا أنّه بقي على الهامش

يمكن تسمية يسوع، مع ضرب من التسامح في التعبير، بـــ "الروح الحرّ"، فلا شيء ثابت وعقيدي يهمّه: الحرف يقتل، كلّ ما هو ثابت نهائي يقتل.

إنّ مفهوم خبرة الحياة، كما فقط يعرفه هو، هو في مناقضة لكلّ شكل من الكلام، والصياغة، والقانون، والإيمان والعقيدة.

إنّـــه يـــتكلّم فقط على ما هو باطنيّ قلبيّ: ((حياة)) ((حقّ)) ((نور)) هي كلماته التي تعبّر عمّا هو أكثر عمقاً باطنيّاً[1].

كـــلّ مـــا يبقى، كلّ الواقع، كلّ الطبيعة، اللغة ذاتها، ليست تمتلك عنده إلاّ القيمة التي لإشارة، ولمثّل.

عـــند هـــذه النقطة ليس حسناً، ولا بأية طريقة، الوقوع في الخطأ، حتّى مهما يكن كبر الإغراء الموجود في الحكم المسبق المسيحي، أعني، الكنسي: إنّ رمزيّ كهذا، بامتياز، يوجد خارج الديـــن، خارج مفاهيم العبدة، وخارج كلّ الكتب وكلّ فنّ. كلّ حكمـــته تقـــوم على أنّ الاعتقاد بأنّ أشياء كهذه هي موجودة، حماقةٌ صرف.

الحضـــارة غـــير معروفة حتّى سماعاً، وليس ثمة ضرورة توجب عليه أن يحاربها، وأن ينكرها.

[1] إنجيل يوحنا 14: 6 قال له يسوع: أنا هو الطريق والحقّ والحياة" كذلك "أنا نور العالم"!

نفس الأمر يقال عن الدولة، والنظام والمجتمع المدني، والعمل والحرب: إنّه لا يملك أبداً دافعاً واحداً لإنكار ((العالم))، أبداً لا يملك أدنى فكرة عن المفهوم الكنسي للـ ((العالم)). الإنكار بشكل أكيد وبالكليّة، غير ممكن عنده.

بالمثل ثمّة نقصٌ في التحاور الجدلي، وفي التفكّر بأن إيماناً و((حقيقة)) يمكنهما أن يكونا مُثبتين بالحجج (أدلته: "أنوار" داخليّة، مشاعر باطنية بالمسرّة وتأكيدات الذات الداخليّة، وبالأخصّ "دلائل القوة").

هذه العقيدة لا تقدر حتّى أن تأتي بقول مناقض، ولا تدري إن وُجد أو يمكن أن يوجد عقائد أخرى، ولا يمكن أن تتخيل، بأي طريقة، شكلاً آخر معاكساً للحكم الذي لها، وحيث تصادفه فإنها في أعماق شعورها تأسى لذلك العمى ـ ذاك أنّها هي التي ترى النور.. غير أنّها لا تشكل أية معارضة البتّة.

- 33 -

في كلّ السيكولوجيا "الإنجيليّة" ثمة غياب لمفهوم الخطيئة والعقاب، وكذلك الأمر مع مفهوم الجزاء.

إنّ الخطيئة ملغاة، وأيةَ نسبة متباعدة تراتبيّة بين الله والبشر

يقيناً هذه هي بشارة "العهد الجديد"، السعادة ليست وعداً، وغيرُ مرتهنة بالظروف؛ إنّها الحقيقة الوحيدة، وكلّ ما عداها يبقى إشارات للحديث عنها والدلالة عليها.

ناتجُ هذه الحالة يتجلّى في ممارسة جديدة، ممارسة إنجيليّة بحصر المعنى.

ليس "الإيمان" هو الذي يميز المسيحيّ: الفعل المسيحي يُماز بنمط مختلف من الفعل؛ إنّه لا يتقدّم بمقاومة لمن يسيء إليه، ولا حتّى بواسطة الكلمات، ولا في قلبه، وليس يمايز بين الغرباء والأهلين، بين اليهود وغير اليهود. (القريب حقّاً هو الأخ في الإيمان، اليهودي). ليس يزعل من أحد، ولا يحتقر أحداً أو يزدريه، إنّه ليس يُرى في المحاكم، ولا يتقاضى فيها (لا تحلف)، لا ينفصل عن امرأته تحت أيّ ظرف، ولا حتّى في حالة الخيانة المثبتة عليها.

إنّ كلّ ذلك في أساسه مبدأ واحدٌ، والكلُّ نتاج دافع واحد.

حياة "المخلّص" لم تكن شيئاً آخر غير هذه الممارسة، وكذلك كان موته.

ليس ثمة حاجة فيه إلى صيغ وطقوس في علاقاته مع الله، ولا حتّى ثمّة حاجة إلى صلاة. ولعله صارفٌ نظره عن كلّ

العقيدة اليهودية في التفكير والمصالحة. عارفاً أنّه فقط عبر الحياة الممارسة يمكن للإنسان أن يعتبر "الإلهي" "المجيد" "الإنجيلي" ودائماً "كابن لله".

الطريق إلى الله ليس "المعرفة" ولا "الصلاة من أجل الغفران". الممارسة الإنجيليّة هي، يقيناً، الله.

ما يُلغى ويبطل مع الأناجيل هو اليهودية بمفاهيم "الخطيئة" "مغفرة الخطايا" "الإيمان" "الخلاص عبر الإيمان" ــ كلّ العقيدة الكنيسيّة اليهودية ألغيت في البشارة الجديدة.

الغريزة العميقة للكيفيّة التي يجب أن يعاش فيها لأجل الشعور "بالمجد السماوي" "بالخلود"، في حين ولا بأيّ سبيل آخر يستشعر المرء أنّه في ذلك "المجد السماوي"، هذا هو فقط النفسيّة الحقّة "الخلاص".

إنّه سلوكيّة جديدة، لا إيمان جديد.

- 34 -

إنّما أمكنني أن أفهم شيئاً عن هذا "الرمزاني" الكبير، فذاك أنّه أخذ كوقائع وكحقائق، فقط تلك الأمور الجوّانيّة، وأنّه قد عدّ كلّ

ما بقي، كلّ ما هو طبيعيّ، زمنيّ، خاصٌّ وتاريخيّ، رمزاً، وإمكانية أمثال.

مفهوم "ابن الإنسان" ليس مفهوماً عن شخصيّة ملموسة واقعاً وتنتمي إلى التاريخ، كشيء مميّز ومتفرّد، وإنّما لحقيقة خالدة، وكرمز نفسي محرّرٌ من مفهوم الزمن.

ذات الأمر يقال، وبمعنى أكثر إسماءً، عن إله هذا الرمزاني النموذجي، وعن مملكة الله، ومملكة السماوات، وعن ماهية ابن الله.

ليس ثمة ما هو أنأى عن المسيحيّة وأقلّ مسيحيّة من فظاظة الكنيسة، التي تتحدث عن الله كما عن شخص، وعن "مملكة الله" التي تقترب، عن "مملكة السماوات" الماورائية الأخرويّة، عن "ابن الله" الذي هو الشخص الثاني في الثالوث.

كلّ ذلك ــ مع إتاحة السماح لي بالتعبير ــ لكمة على العين (ولكن آه على أية عين) عين الإنجيل. وقاحة تاريخيّة ــ عالمية في سخريّة من الرمز.

لكن هذا واضح (لا ليس واضحاً للجميع، أسلّم بذلك) ما مدلول العلامة "أب" و"ابن".

مــع كلمــة "الابن" يتمّ التعبير عن الدخول في إحساس كلّي بتشكّل وتجلّي كلّ الأشياء (الغبطة)، ومع كلمة "الآب" يعبّر عن هذا الإحساس نفسه، الإحساس بالأبديّة، والكمال.

إنّـــي لأخجل عند تذكّر ما فعلته الكنيسة بهذه الرمزية. ألم تصبـــح تحت مظلّة الإيمان المسيحيّ تاريخاً انفيتريونيّا؟[1] لو لم تقدّم عقيدة "الحبل بلا دنس"، وإنّما هي بهذا تدنّس الحبل؟

"مملكة السماوات" هي حالة قلب، ليست شيئاً يأتي من "فوق" أو أنّه "حياة ما بعد الموت".

كلّ مفهومات الموت الطبيعي تنقّصُ الإنجيل": فالموت ليس جسراً ولا عبوراً. إنّه منتقص لأنّه يشكّل جزءاً من عالم بالكليّة مخـــتلف، ووحـــده واضحٌ جليّ، ووحده نافع لتهيئة علامات . "ســـاعة الموت الأخيرة" ليست فكرة مسيحيّة، "الساعة" الزمن، الحـــياة الزمنيّة في الجسد وأزماتها، لا توجد عند حامل البشارة الجديدة.

"مملكـــة الله" ليســـت شيئاً ينتظر، لا تمتلك أمساً ولا آتياً، وليست تحل في "الألفيّة"[2].

---

[1] يروي هزيودس في Teogonia "944" ولادة هرقل من ألكميا زوجة انفيتريون، حيث واصلها زيوس كبير الآلهة.

[2] تنظـــر رؤيـــا يوحنا 20: 2 "فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبلـــيس والشيطان وقيّده ألف سنة" و20: 4 "والذين لم يسجدوا للوحش ولا

هي خبرة قلب وممارسته، توجد في كلّ مكان، ولا توجد في أيّ مكان.

- 35 -

هذا "الراعي الصالح" مات، مثلما حيي، ومثلما علّم، لا لكي "يفدي الإنسان" لكن لأجل أن يري كيف ينبغي أن يُعاش.

ما تركه كميراث للبشرية كان الممارسة:

تصرّفه أمام الحكّام، وأمام الجنود، وأمام متّهميه والمشكّكين علـــيه، وأمـــام كـــلّ صنف من وشاية وسخرية.. تصرّفه فوق الصليب.

إنّه لا يعترض ولا يدافع عن نفسه وحقّه، لا يتقدّم بأية خطوة ليبعد عن نفسه اللحظة الأكثر حرجاً بالموت، بل إنّه يستدعيها. إنّه يتضرّع، ويكابد، ويحبّ أولئك الذين يسيئون إليه.

لصـــورته ولـــم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة".

تلــك الكلمــات الموجّهــة إلى اللصّ على الصليب تحتوي الإنجيل كلّه: "حقّاً كان رجلاً مقدّساً وباراً، وابناً لله" قال اللص[1].

"إمّــا كان هذا حقيقة ما تدركه، أجاب المخلّص، إذاً ستكون في الفردوس، وتكون أنت أيضاً ابناً لله"

إنّه لا يقاوم، ولا يغضب، ولا يحمّل المسؤولية أحداً. لا يقاوم أبداً الشرير، بل يحبّه.

- 36 -

فقط حرّ، تلك النفوس المتحرّرة، من يملك ظروف تفهّم أمر قــد جــرى فهمه فهماً خاطئاً خلال 19 قرناً خلت: تملك تلك النــزاهة الحائلة إلى غريزة وهوى، والتي قامت بالحرب ضد

---

(1) – يذكر متّى أنّ قائد المئة والذين معه قالوا "حقّاً كان هذا ابن الله" 27: 54 – وقريــبة مــنه مــرقس 15: 39– أمّــا لوقا فيروي عن قائد المئة "بالحقيقة كان هذا الإنسان بارّاً" 23. 47 أمّا ونحن نجد المصلوبين يهزآن بيسوع قبلاً، نجد أحدهما مع ذلك يقول في لوقا: "أمّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس فــي محلّــه" يقول عن يسوع ويطلب منه أن يذكره في ملكوته فأجابه هذا "الحــق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" 23. 41- 43 فمن ج ينتقى من كلّ هذا ما أثبته.

"الكتبة المقدّسة" أكثر ممّا ضدّ أية كذبة أخرى. كان هناك بعدٌ لا يُحدّ عن حيادنا المحبّ والحذر، عن ذلك الانضباط الروحي الذي فقط جعل ممكناً كشف أشياء غريبة إلى هذا الحدّ ودقيقة. في كلّ الأزمان، جرى البحث، بأنانية صفيقة، لنُظر في الأشياء فقــط المصـــلحة الشخصيّة؛ وفوق ما يناقض الإنجيل رُفع بناء الكنيسة.

مــن يبحــث عن دلائل ألوهية متهكّمة تحرك الخيوط خلف اللعــبة الكبيرة للعالم، سيصادف سنداً واهياً في إشارة الاستفهام الواسعة التي تُدعى المسيحيّة.

كــون البشــرية قد حضعت أمام المضاد لما كان الصيغى الأصــيل، والفحوى، والحقّ الإنجيلي، وأنّه في مفهوم "الكنيسة" قد قُدّس يقيناً ذاك الذي اعتبره حامل البشارة أدنى منه وورا ءه: عبــثاً يبحث في التاريخ عن شكل اكثر إمعاناً في السخرية من هذا.

- 37 -

عصرنا متباهٍ وفخور بحسّه التاريخي: كيف أمكن له أن يقنع بالـــبطلان اللامعقـــول بأنّـــه في مبتدأ المسيحيّة توجد الخرافة

الحشمة لصانع العجائب والفادي؟ وأنّ كلّ الروحي والرمزي هو فقط توسّع لاحق؟ بالمقابل، فإنّ تاريخ المسيحيّة بدءاً من الموت فوق الصليب هو تاريخ سوء فهم ــ يزداد جلافة ــ لرمزية أصليّة.

مع كلّ توسع للمسيحيّة فوق الجماهير الأكثر امتداداً ورعونة، والتي يفقصها أكثر فأكثر وبشكل متزايد الظروف التي ولدت فيها المسيحيّة، يكون ثمّة ضرورة متزايدة لجعلها (أي المسيحيّة) أكثر عموميّة، ولبربرتها.

لقد تمثّلتْ وامتصّت كلّ العقائد والطقوس التي لكلّ العبادات الباطنيّة الديماسيّة في الإمبراطورية الرومانيّة وتفاهات كل أشكال الذهنية المريضة.

قدر المسيحيّة المشؤوم قام في حتميّة أنّ إيمانها الخاص يتقمّص ما يعود به مريضاً بهذا القدر، وبهذه الحطّة، وبهذه السوقيّة، مثلما أنّ الضرورات التي سعت لإشباعها كانت مريضة ومنحطة وطعاميّة.

بنهاية الأمر فإنّه قد جُيّرت إلى الكنيسة، البربريةُ المريضة لتشكيل القدرة بوصفها كنيسة.

الكنيسة، هي هذا الشكل من العداوة حتّى الموت لكلّ استقامة ولكلّ سموّ في النفس، لكلّ صقل للهمّة الروحيّة، ولكلّ إنسانيّة حرّة وكريمة.

القيم المسيحية مقابل القيم الارستقراطية. هكذا، نحن فقط، نحن تلكم النفوس المتحرّرة، أعدنا تأسيس هذه المناقضة في القيم، المناقضة الأكبر التي قد وُجدت.

- 38 -

لا أستطيع هنا أن أحبس أنّة وأكتم آهة.

ثمة أيّام يحكمني بها شعورٌ أكثر قتاماً من أكثر السوداويات قتامة: هو احتقار الإنسان.

ولكيلا أدع مجالاً للشك حول ما أحتقره ومن الذي أحتقره: فذلك هو إنسان اليوم، الإنسان الذي بكل شؤم أعاصره. إنسان اليوم يخنقني بأنفاسه النتنة الملوّثة.

تجاه الماضي، وكما كلّ الدارسين المقدّرين، فإني أكنّ مسامحة كبيرة، هذا يعني سيطرة على النفس شهمة كريمة:

أعبرُ باحتراس كئيب هذا البيمارستان الذي كأنه العالم خلال ألفيّات كاملة، والذي بات يدعى الآن "المسيحيّة" و"الإيمان المسيحي" أو "الكنيسة المسيحيّة" .. أحتاط جداً من أن أجعل البشرية مسؤولة عن تلك الأمراض التي أنهكت روحها؛ لكنّ

بحساسيـــي يختبر انقلاباً وينفجر ما أن يدخل العصر الحديث، عصرنا ــ عصرنا العارف .. الذي كان قبلُ مريضاً هوذا الآن قـــد ارتـــدّ بدينا. عدم اللياقة والدناءة اليوم هو أن يكون المرء مسيحيّاً. وهنا يبتدئ قرفي.

أتلفّت حولي: لم تبقَ كلمة ممّا كان يدعى قبلاً حقيقة، ولسنا نحتمل حتّى، أنّ كاهناً ينطق بكلمة "حقيقة" اليوم ثمّة وجوب ــ مع كلّ التواضع المقتضى للنزاهة ــ لمعرفة أنّ لاهوتيّاً، كاهناً، بابـــا، وفي كلّ عبارة يفوه بها ليس فقط أنّه يُخطئ، بل يكذب. وأنّه ليس بُرءاً الكذب ويباح بسبب البراءة والجهالة.

كذلك يعرف اللاهوتي، كما يعرف الجميع، أنّه ليس ثمّة "إله" أو "خطيـــئة" أو "مخلّص". وإنّ "الإرادة الحرّة" و"النظام الخلقي للعالم" هي أكاذيب.

الجديـــة والتّســـامي العميق للنفس على ذاتها، لا يسمح لأحد بجهل هذا كلّه.

كـــلّ مفاهيم الكنيسة معدودةٌ كما هي في الحقيقة. إنّها الأكثر تزييفا مؤذيا الذي قد وجد أبدا، بنظرات محتقرة للطبيعة وللقيم الطبيعيّة.

الكاهـــن نفســـه بان مكشوفاً على حقيقته: إنّه النمط الأكثر خطراً بين الطفيليين، والعنكبوت المسمّم للحياة.

إنّـــنا لـــنعرف، وضميرنا يدرك اليوم هذا، كم تساوي على العمـــوم، وإلـــى مـــا تصلح، تلك البدع المشؤومة التي ابتدعها الكهـــنة، والكنيســـة، والتي حصّلت ذلك الوضع المسمّم المشرّد للبشرية، المثير للقرف لدى ظهوره. مفاهيم "الآخرة" "الدينونة الأخيرة" "خلود الروح" "الروح" ذاتها، هي أدوات تعذيب وأنظمة وحشيّة من خلالها يتسلّط الكاهن ويظلّ محتفظاً بسلطته

الكلّ يعرفون هذا، والكلّ يتّبعون مع ذلك ما قد سلف!!

أين ستقف البقيّة الأخيرة للشعور بالحشمة، ولاحترام الذات، إن كـــان حـــتّى رجال دولتنا[1]، إضافة إلى نوع لا أبالي من الـــرجال مضـــادّ كفاية للمسيحيّة فعلاً، يُدعون اليوم مسيحيين، ويمضون لتناول القربان؟!

أميرٌ شـــاب[2] على رأس حكومته يتألق كتعبير عن الأنا والكبرياء التي لشعبه، إنّما لا يخجل من أن يعدّ ذاته مسيحيّا!

من تنكر المسيحية وترفض؟ ما الذي تدعوه دنيويا؟

الصـــيرورة محارباً، قاضياً، الصيرورة موطناً! الدفاع عن الـــنفس، المحافظة على الشرف الخاصّ، إرادة المنفعة الذاتيّة، والكبرياء المحورة...

---

[1] تعريض ببسمارك وموقفه الملتبس من الدين [P]

[2] يعـــني به Guillermoll المميّز بدوافعه الكبيرة، وانفتاحه على الأفكار الجديدة، وتنوّع اهتماماته، وثقافته الكبيرة وشخصيته اللامعة [P]

كلّ ممارسة في أيّ حين، كلُ غريزة، وكلُ تقييم يتحول إلى فعل، هو اليوم ضدٌ للمسيحيّة:

أيّ سقط ريسف يجب أن يكون الإنسان الحديث كيما لا يخجل حتّى الآن من أن يدعو نفسه مسيحياً!!

- 39 -

أمضي مرتدّاً، لأروي تاريخ المسيحيّة الحقيقي.

الكلمة ذاتها "المسيحيّة" هي سوء فهم وخطأ، وفي الأصل لست أجد أكثر من مسيحيّ واحد: وهذا قد مات مصلوبا. "الإنجيل" مات على الصليب. وما يُدعى بدءاً من تلك اللحظة "إنجيلاً" كان بالعكس لذاك الذي قد عاشه: بشارة سيئة، "لا — إنجيل"(1)

إنّه لأمر زائف وباطل حتّى التفاهة إنّما نُظرت خصيصة المسيحيّة في إيمان، ومثلاً، الإيمان بالفداء بواسطة المسيح: فقط الممارسة المسيحيّة، العيش كما عاش المائت على الصليب هو المسيحيّة.

---

(1) يستخدم نيتشه تعبير Dysangelium ليشير في لعب على اللفظ إلى ما هو ضدّ البشارة. البشرة الرديئة [p].

إنّ هكذا حياة هي إلى اليوم ممكنة لبعض الأناس، لا بل حتّى ضرورية لهم: المسيحيّة الحقيقية، الأصلية، تصير ممكنة في كلّ الأزمان، لا اعتقاداً، وإنّما عملاً، وفوق كلّ شيء لا — عمل أشياء كثيرة وصيرورة في كيان متمايز.

إنّ حالات الضمير، وأيّ اعتقاد، كمثال عدّ شيء حقاً، الذي يعلمه كلّ نفساني، كلّها عدم اهتمام كلّي وطابوراً خمساً ضدّ قيمة الغرائز. ومتكلّماً بصرامة أكبر، فكلّ الفكرة العامّة عن السببيّة الروحية هي زائفة.

تخفيض الكينونة المسيحيّة، الجوهر المسيحيّ، إلى حدّ عدّ ظاهرية محضة للضمير كحقيقة، يعني إنكار المسيحية.

في الواقع، لم أصادف مسيحيين. المسيحي ببساطة، وما يدعى عبر ألفيّ سنة مسيحياً، نفسيّةٌ غير مفهومة منه ذاته. وإنّما نظر إليه بتدقيق، وجد رغم الإيمان كلّه، وقد تسلطت عليه إطلاقاً الغرائز. وأية غرائز!!

لقد كان الإيمان في كلّ زمان، وكمثال حالة "لوثر"، فقط غطاء، وحجّة، وستارة، من خلفها تلعب الغرائز لعبتها، وكان دهاءً عَمِيّاً فوق سيطرة تلك الغرائز.

إنّ الإيمان — والذي قد دعوته قبلاً بالدهاء المسيحي الحقّ — يتكلّم دائماً عن الإيمان، ويتصرّف عاملاً فقط بالغريزة.. في

عـــالم الأفكـــار المســـيحيّة لا يظهـــر أبداً ما يلمس الواقع. بل بالعكس، ففي الكره الغريزي لكلّ واقع نتعرّف العنصر الدافع، "العنصر" الدافع الوحيد في جذور المسيحيّة.

ماذا يُستنتج من هذا؟ على ما هو كذلك في المسائل النفسيّة، الخطأ هنا هو جذري، وأنّه المقرِّر للجوهر، والماهيّة.

أستخلص من هذه فكرة، وفي مكانها أضع حقيقة وحيدة، وكلّ المسيحيّة تتردّى في العدم

إنـــــي أرى من فوق، من الأعلى، هذا الأكثر غرابة بين كلّ الأعمـــال: دينا مبتدعاً، وليس فقط مشروطاً ومحشواً بالأخطاء، بـــل خالقاً بمقدار ذلك، وبعبقريّة، الأخطاء المؤذية، التي تسمم الحياة والقلب؛ هو مشهد جدير بالألوهة، بتلك الآلهة التي تكون أحسيانا فلاسفة، والتي وجدتها ــ على سبيل المثال ــ في تلك المحاورات الشهيرة لناكسوس[1].

---

[1] محورات ناكسوس من ابتداع نيتشه. وفي حوار يؤكد ديونيسيوس على قـــدرة "الحيوان الكيّس الجريء الجسور" الذي هو الإنسان "والذي هو واسع الحيلة ولا مثيل له على الأرض" ويفكّر كيف يجعله "أكثر قوة وحبثا وعمقا ممّـــا هو عليه. "أكثر قوة وحبثا وعمقا؟ سألت بهلع. نعم ردّد مرة ثانية، وأكـــثر جمـــالا" من" ما وراء الخير والشرّ". ترجمة جيزيلا فالور حجار. نبـــذة 295، وفـــي النبذة نفسها يقول: "أن يكون ديونيسيوس فيلسوفا، وأن

فـــي اللحظة التي ينسحب فيها التقزّز من تلك الآلهة (وكذلك يغادرنا) فإنهم يشكرون المنظر الذي يقدّمه المسيحي.

ذلـــك الكوكب البائس الصغير الذي يُدعى الأرض، يستأهل ربّما فقط بسببٍ من هذه الحالة الغرائبية، نظرة إلهية، واهتماماً إلهياً.

لا نســـتخفنّ إذاً بالمســـيحيّة: المسيحيّ رائف حتّى أقصى السذاجة، إنه أعلى بكثير من القرد؛ فيما يتعلق بالمسيحيّين، فإنّ نظرية معروفة جداً عن تولّد السلالات، تغدو لطفاً محضاً.

- 40 -

مصير المسيحيّة قُرّر بالموت ــ معلقاً على الصليب.

فقـــط المـــوت، هذا الموت المقيت والمُعجل، وفقط الصلب؛ الـــذي علـــى العمـــوم يُحتفظ به للسفلة[1]، وحده هذا التناقض

تكـــون الآلهة إذن هي الأحرى مهتمة بالفلسفة يبدو لي تجديداً لا يخلو من الحرج، لمّا يتكم يا أصدقائي فسيكون هذا التجديد أكثر قبولاً".

[1] كـــان الصـــلْبُ مكرّساً للناس المنحطين، لذلك نجد يسوع يصلب وكذا اللصين وكذا بطرس يصلب، بينما شاؤول "الروماني" يُضرب عنقه بالسيف المخصّص للرومان والنبلاء.

الظاهري المرعب وضع التلاميذ أمام السؤال الملغز: من كان هذا؟! ماذا كان هذا؟

الشعور المهتز والمهان في العمق، والارتياب من أنّ هكذا ميتة يمكن أن تكون دحضاً، والعلامة المرعبة للتساؤل. لماذا كان بكلّ تأكيد هكذا؟: هذه الحالة تُفهم جيّداً.

فهنا الكلّ يملك أو يوجب أن يكون ضرورة، جائزاً على معنى، ولُحقيّة، أحقيّة سامية.

حبّ المريد لا يعرف تقلّب الصدف.

فقط حينها تنفتح الهاوية: من أماته؟ من كان عدوّه الطبيعي؟ هذا التساؤل ينطرح مثل برق. والجواب: السلطة اليهودية، صنفها الأعلى.

والتلاميذ انطلاقاً من هذه اللحظة وفيما يأتي، استشعروا التمرّد ضدّ النظام المجتمعي، إلى الحدّ الذي فُهم فيه يسوع بوصفه متمرداً ضدّ النظام. حتّى ذلك الحين كانت تنقص صورته هذه الهيئة الحربيّة، الرافضة بالقول والفعل. أكثر من ذلك، كان ذلك المناقضة ليسوع.

إنّه لواضح أن الجماعة الصغيرة لم تفهم أكيداً ذلك الأساس الذي أنشأ نموذجاً بطريقة الموت هذه: الحريّة، والرفعة فوق كل شعور بالضغينة. وهذا علامة على كم أنهم قليلاً قد فهموه. في

ذاته، لم يقدر أن يريد بموته شيئاً آخر غير أن يعطي بشكل عمومي البرهان الأقوى، المُظهر لعقيدته..

لكنّ تلامذته كانوا بعيدين عن أن يغفروا هذه الميتة، التي كانت إنجيليّة في أرفع معنى، أو بالأقل أن يتقدّموا إلى ميتة مشابهة مضحّين بأنفسهم، بعذوبة وصحبة هادئة في القلب.

لقد كان، بالتأكيد، الشعور الأقلّ إنجيليّة، أي الثأر، هو الذي فرض ذاته من جديد.

كان غير ممكن أنّ الدافع يبلغ غايته بهذه الميتة.

ثمّة ضرورة للأخذ بالثأر، وللعدالة. (ومع ذلك، أيّ شيء يمكنه أن يكون أقلّ إنجيليّة من الأخذ بالثأر، والعقاب، والإخضاع للمحاكمة).

مرّة أخرى يعود إلى الواجهة التوقّع الشعبي عن المسيح؛ ولحظة تاريخيّة تكون قبلة للنظر. "مملكة الله تجيء للحكم على أعدائه.

إنّما بهذا يكون كلّ شيء مفهوماً بطريقة رديئة: "مملكة الله" كفعل نهائي، كوعد! الإنجيل كان بوضوح الوجود، الملء، الواقع لمملكة الرب هذه، وميتة كهذه كانت بالضبط مملكة الرب تلك.

فقط الآن يُشكِّل في شخص المعلّمِ كلَّ الاحتقار وكلَّ المرارة تجاه الفريسيين واللاهوتيين ـــ وبهذه الطريقة جعلوا منه فريسيّاً ولاهوتيّاً!!

من جهة أخرى، فإنّ التجلّة العائدة وحشيّة، في هذه النفوس المضــطربة الخارجــة عــن كلّ ضبطٍ بالكليّة، لم تحتمل تلك المساواة الإنجيليّة في الحقوق، ولا كذلك تحويل الكلّ إلى أبناءٍ لله، كمـــا بشّـــر يسوع: انتقامهم قام على رفع يسوع إلى أعلى بطريقة مفرطة، على فصله عنهم، وهو ذات الأمر الذي حصل في وقت آخر حيث العبرانيين كيما يثأروا من أعدائهم انفصلوا عنهم إلى إلههم الخاص وقد رفعوه إلى أعلى.

الله الأحـــد.. الابـــن الوحـــيد لله: كلاهمـــا صنعتا الحقد [Resentiment].

. 41 .

منذ الآن وصـــاعداً، تتدفق مشكلة سافية للعقل واستحالية: "كيف أمكن لله أن يسمح

بذلك!"

ولأجل هذا التساؤل وجد العقل المضطرب المشوش للجماعة الصـــغيرة جواباً منافياً للعقل بشكل مرعب: لقد وهب الله ابنه لمغفرة الخطايا، كأضحيّة استغفار.

اه كيف بضربةٍ واحدةٍ، وبأيّة طريقة، يُنتهى من الإنجيل!

الذبـــيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للاشمئزاز، الأكثر بربـــريّة، التضـــحية بالبريء لغفران خطايا المذنبين. أيّة وثنيّة هائلة!!

يســـوع أبطل المفهوم ذاته لـــ (ذنب)، ملغياً كلّ هوّة وبون بيـــن الله والإنسان، عائشاً هذا الاتحاد بين الله والإنسان كـــ (بشارته)، وليس كامتياز.

بدءاً من الآن وآتياً، وشيئاً فشيئاً، يُتَوصَّل إلى تخليق شخصية الفـــادي: عقـــيدة القضـــاء والرجعة، عقيدة الموت موتاً قربانياً (تضـــحويّاً) كذبـــيحة، عقيدة القيامة، التي بها أُخفي كلّ مفهوم (الطوباويـــة)، وهـــي الواقعة الوحيدة والكاملة للإنجيل، لصالح حالة ما بعد القبر!!

(بولـــس) أعطى معنىً منطقيّاً لهذا الفهم، لهذا العتوّ المتهوّر فـــي الـــتقرير والفهم، عبر تلك العجرفة الوقحة الحاخاميّة التي ميّزته في كلّ الظروف "إن كان المسيح لم يقم من بين الأموات

فـــباطلٌ يكـــون إيمانـنا"[1] وسراعا ما تحوّل الإنجيل إلى الأكثر حقّــارة بين كلّ الوعود غير ممكنة التحققّ، وإلى عقيدة ليست تخجل، عقيدة الخلود الشخصي!!

بولس نفسه بشر بذلك كمكافأة.

- 42 -

يُرى ما وَضَعَ نهايةً له الموتُ على الصليب:

ابتداءٌ جديد وتام وحقيقي لحركة بوذيّة للمسالمة[2]، ولسعادة فعليّة، لا موعودة، فوق الأرض. لأنّ هذا هو ـــ كما أظهرتُ ـــ الفرق العميق بين دينيْ الانحطاط هذين: البوذية لا تعِد، بل تُتمّ، بينما المسيحيّة تعد بالكلّ ولا تُتمّ شيئاً.

البشارة الجيدة يتبعها عن قرب ويحلّ محلّها البشارة الرديئة: بشارة بولس.

---

[1] ـــصّ الآية 14 من الاصحاح 15 من الرسالة إلى كورنثوس "فإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم"

[2] قارن مع الفصل 20

فـــي بولس يتجسّد النمطُ المعاكس ((لحامل البشرة الجيد)) والعـــبقريةُ في البغضاء، وفي رؤى البغضاء، وفي منطق الكره الذي لا يلين ولا يرحم.

كم من أشياء ضحّى بها هذا اللا ـــ بجيلي[2] للبغضاء؟ قبل الجميع المخلّص ذاته سمّره فوق صليبه. الحياة، المثل، العقيدة، الموت، المعنى والحقّ في كلّ الإنجيل، لاشيء قد بقي من ذلك عندما علم هذا المزيّف بالبغضاء ما فقط يحتاجه لأجل غايته. لا الحقيقـــي، لا الحقــيقة التاريخــيّة!... ومرّة أخرى ترتكب الغريزة الكهنوتية اليهودية الجريمة الخطيرة ذاتها ضدّ التاريخ.

إنّها ببساطة قد محت الأمس، الماضي المسيحي، واخترعت للمسيحيّة البدئيّة تاريخاً.

علاوة على ذلك، زيّفت من جديد تاريخ اسرائيل مظهرة إياه كتســبيقة تاريخيّة لفعلتها: كلّ الأنبياء قد تكلّموا عن "المخلّص" الذي أوجدته.

الكنيسة زيّفت لاحقا حتّى تاريخ البشرية ذاته، قالبة إياه إلى ما قبل تاريخ المسيحيّة.

شخصـــيّة المخلّـــص، والعقـــيدة ـــ عقيدته ـــ والممارسة، والموت، ومعنى الموت، وحتّى ما يحدث ما بعد الموت نفسه،

---

[2] dysevangelist

لاشـــيء بقـي دون أن يطـــرق ويُمس؛ لاشيء قد بقي به ولو مشابهة للواقع.

الـــذي قـــام بـــه بولس ببساطة كان نقل مركز الثقل ونقطة الجاذبية لكامل ذلك الكيان إلى ما وراء ذلك الكيان ووضعه في كذبة يسوع المنبعث.

في الأساس لم يكن محتاجاً على الإطلاق إلى حياة المخلّص، كـــان محـــتاجاً إلى الميتة على الصليب، وإلى شيء آخر أيضاً: الاعـــتقاد بأمانة وإخلاص "بولس" (والذي كان بلده المتحدّر منه فـــي المركـــز الرئيس للفلسفة الرواقية اللامعة[1]، وحيث تحت تأثـــير الوهم، رتّب البرهان على أنّ المخلّص لم يزل إلى الآن حيّاً، أو حتّى أرسخ تصديقاً لروايته بأنّه قد وقع له ذلك التوهم) سيكون ـــ عند السيكولوجيين ـــ بلاهةً حقّة.

بولـــس يتطلّع إلى الغاية، وبالتالي، يبطر في الوسائل. ما لم يؤمن به هو يؤمن به أولئك المغفلون الذين بذر بينهم عقيدته.

---

[1] فـــي مدينـــة طرســـوس عاش وعلّم رواقيون من حقب شتّى: زينون، أرشـــيديموس انتيباتر، هيراكليدس، أثينودورو، هيرودوت، ديوجين، الذين أعطـــاهم ديوجين اللايرتي الهوية الطرسوسية. في فترة دراسته في ليبزيغ وأستاذيته في بازل، اهتم نيتشه كثيراً بعمل ديوجين اللايرتي: حياة وأفكار كبار الفلاسفة. [P]

لاحتـــياجه كان إلى القوّة. عبر بولس أراد الكاهن مرّة أخرى أن يحصل على القدرة.

هـــو وحـــده كـــان يقدر على الانتفاع من المفاهيم والعقائد والرموز التي بها يتمّ التسلّط على الجماهير، وتنظيم القطعان.

مـــا كـــان الشـــيء الوحيد الذي استعاره "محمّد" لاحقاً، من المسيحيّة؟

إنّـــه ابـــتداعُ بولـــس، ووسيلته للتسلّط الكهنوتي، ولتشكيل القطعان: الاعتقاد بالخلود ـــ وهذا يعني، عقيدة "الدينونة".

- 43 -

وضع مركز ثقل الحياة لا في الحياة، وإنّما في الأكثر بُعداً، في الآخرة، في اللاشيء، يسلب الحياة من أهميّتها وثقلها.

الكذبـــة الكبيرة عن الخلود الشخصي تدمّر كلّ صوابيّة وكلّ طبـــيعة في الغرائز. كلّ ما هو مفيد ومفضّل في الحياة، كلّ ما يضـــمن المســـتقبل من الغرائز يستثير من الآن وصاعداً عدم الثقة.

الحياة بهكذا طريقةٍ لا تملك بعدُ معنى الحياة، يُحوّل الآن إلى (معنى) الحياة.

لماذا الشعور التضامني، لماذا الامتنان للسلالة، للأجداد، لماذا التكافل، الوثوق، الحذر ومراعاة النظر في حيزٍ عموميّ ما؟...

كلّ هذه الأمور هي إغواءات، كلّ هذه الأمور انحراف عن (الطريق المستقيم).

"شيء واحدٌ فقط هو الذي ينقص وهو الضروري"... أنّ كلّ واحد، كونه "روحاً خالدة"، يملك المنزلة ذاتها التي يملكها الجميع، وأن "الخلاص" ــ وبالإجماع مع كلّ كينونة ــ لكلّ شخص، يقدر أن يدعي أهميّة خالدة، وأنّ كلّ المنافقين التافهين الصغار وأنصاف المجانين يملكون الحقّ ليتصوّروا أنّه لأجلهم تخالفُ قوانينُ الطبيعة باستمرار: في كل ذلك فإنّ هكذا رفع لكل صنف من أنانيّة والذي يصل إلى اللا تناهي وإلى الفحش الذي لا يخجل، لا يُقتدر أن ينظر إليه بالاحتقار الكافي.

ومع ذلك فإن المسيحيّة تدين بانتصارها إلى هذا التملق المؤسسي الرزيّ، إلى هذه البهرجة الشخصيّة المزدهية. وبهذا فإنّها تجذب إليها بالتأكيد ما هو مشوّه، وذوي الحدّة في التمرّد، والفاشلين، المحطّمين، وكل حثالة البشرية.

(خلاص الروح) يعني بالألمانية[1]: (العالم يدور حولي).

[1] كما نقول بالعربي الفصيح، أو القول بوضوح

وسمُّ عقيدة (الحقوق ذاتها للجميع)[1] نُشر عميق بواسطة المسيحيّة.. إنّ المسيحيّة، انطلاقاً من أخبأ الزوايا العزيزية الرديئة، قامت بحرب حتّى الموت ضد كلّ مشاعر التوقير والحفاظ على المسافة التي بين إنسان وإنسان، وهذا يعني، ضدّ الظروف المهيئة لكلّ سموّ، وكلّ نموّ في الحضارة . بالضغينة الشعبيّة طرّقت سلاحها الرئيس ضدنا، ضدّ كلّ ارستقراطيّة، ضدّ كلّ مبتهج وكريم موجود على الأرض.

الخلود ممنوحاً لهذا وذاك كان حتّى الآن المحاولة الأكثر إيذاءاً وهولاً ضدّ النبالة.

إننا لا نستخفّ بالشؤم الذي نفذ متغلغلاً من المسيحيّة إلى السياسية!

لا أحد يملك الشجاعة اليوم ليطالب بالحقوق الخصوصيّة، وبالسيادة، وشعور الاحترام المُجلّ لنفسه ولبني قومه، وللمناداة بتعاطفه مع الفوارق والمسافات الطبيعيّة . سياستنا مريضة بنقص الشجاعة هذا.

الأرستقراطيّة في الجبلّة قد قُوّضت داخليا بكذبة إنّ النفوس سواسية.

[1] قارن مع أواخر الفقرة 40.

وإذا كان الاعتقاد بـ "حقوق الأكثرية" قد صنع ثورة وسيصنع، حينها فإنّ المسيحيّة، ولاشك، وتلك الأحكام القيميّة المسيحيّة، هي من حوّل كلّ ثورة إلى الدمّ والجريمة.

المسيحيّة هي تمرّد كلّ أولئك المتجرجرين فوق التراب ضدّ كلّ من يملكونه رفعةً. إنجيل السفلة يصنع سفالة (إنجيل المحرّيين يخزي).

.44.

الأناجيل شهادة لا تثمّن عن الفساد الذي لا يعالج والذي وُجد في صدر الجماعة الأولى. والذي قد حمله بولس فيما بعد إلى نهايته وأجبره، بالمنطق الصفيق لحاخام، لم يكن إلاّ قصيّة الانحطاط الذي بدأ مع موت المخلّص.

كلّ الاحتراس الذي يتخذ عند قراءة الأناجيل يبقى قليلاً، حيث كلّ كلمة تخفي وراءها صعوبات كثيرة.

أنا واثق ــ وفي هذا يجب أن يوثق بي واقدّر جيّداً لما أقوله ــ أنّه لهذا السبب بالتأكيد فإنّ تلك الأناجيل تقوم، لذى نفسانيّ،

منبع تسلية من المرتبة الأولى: كمناقصة بكل فساد سادج، وكحذلقة ومغالاة رفيعة، ومهارة في الفساد النفساني.

الأناجيل تقوم متوحّدة، وبجوهريّة تعتمد على ذاتها. الكتاب المقدّس من جهته ــ عموماً ــ لا يقبل أية مقارنة ولا يتحمّلها.

نحن بين اليهود. نقطة النظر الأولى كيما لا يضيع تماماً الخيط المرشد.

الانتقال الذاتي، الذي هو مباشرة فعلٌ عبقري، إلى (القداسة)، والذي أبداً لم يكن ــ ولا بالمقاربة ــ متوصّلاً إليه في مكان آخر، لا في الكتب ولا بين الناس، التزييف للكلمات والإيماءات كفنّ، ليس حاصلاً لمصادفة نبوغ شخصيّ، ولا لأي شكل من وجود استثنائي: لأجل هذا يُحتاج إلى سلالة Raza.

جماع اليهودية التي هي تُشدّد في الممارسة وتكنيك يهودي دنيوي بالغ الجدّيّة، تحصّل براعتها النهائية في المسيحيّة بمفهومها فنّ الكذب المقدّس.

المسيحي، العلة النهائيّة للكذب [Ultima ratio]، هو اليهودي مضعّفاً، بل اليهودي مثلّثاً.

إنّ إرادة الاستخدام الأساسيّة، فقط لمفاهيم، ورموز، وإشارات وهيئات والاستفادة منها، محتبرةً ومُثبّتة بتجربة الكاهن. الرفض الغريزي لكلّ حركة أو ممارسة أخرى، لكلّ

مسطور آخر للقيمة والمنفعة، هذا ليس أنه فقط تقليدٌ بل وراثة: وفقط بكونها وراثة، تتصرّف كطبيعي.

كلّ البشريّة، وأفضل الرؤوس في كلّ العصور (باستثناء واحدٍ، الذي لعلّه ببساطة إنسان هائل سامٍ) تُركت مخدوعة.

لقد قرئ الإنجيل ككتابٍ للبراءة، وأحد لم يشر إلى البراعة التي أنجز بها ككوميديا.

وطبعاً إنّنا استطعنا أن نرى خارج السياق كلّ هؤلاء المدقّقين العجائبيين، والقديسين الفانين، فإنّ كلّ هذه الكوميديا ستنتهي. وبالتأكيد لكوني لا أقرأ كلمة واحدة دون رؤية ملامحها، فإنّني لأنتهي منها.. إنّني لا أحتمل فيها تلك الطريقة في رفع العينين إلى السماء.

إنّ من التوفيق أنّ تلك الكتب، في أغلبيّتها، هي محض أدبيات.

فلا نسمحنّ بأن نُخدع. "لا تدين"، تقول تلك الكتب، بينما ترسل إلى الجحيم كلّ من يكون عائقاً في طريقها. وإنّما تجعل الحكم لله، فإنّها تحاكِم هي نفسُها، وفي تمجيدها لتمجيد الله تمجّد ذاتها، وباقتضائها للفضائل التي بها تصبح قديرة ـ وهذا يعني الفضائل الضرورية التي بها تبقى محتفظة بسلطانها ـ تُمنح الهيئة العظيمة للصراع من أجل الفضيلة، ولمعركة من أجل

سلطة الفضيلة. "إننا نعيش، إننا نموت، مضحيّن بأنفسنا لأجل الخير" (لأجل "الحقّ"، "النور"، "مملكة الربّ").

لقد عملوا ـ في الواقع ـ ما لم يكن بوسعهم ألاّ يعملوه، بينما ـ وبطريقة منافقة ـ أظهروا التواضع، والتجأوا إلى الزوايا، عاشوا في الظلّ، كظلال، جاعلين من هذا واجباً. حياتهم كوضاعة تظهر كواجب وكوضاعة هي برهان زائدٌ على التقوى تجاه الله.

آه أيّ بهتان منافق ذلك التواضع والعفة والرحمة!

((الفضيلة نفسها يجب أن تُثمر في نفوسنا ومن قبلنا)).

يجب أن نقرأ الأناجيل ككتب للإغواء عبر الأخلاق؛ والأخلاق تبقى محجوزة من قبل هؤلاء الناس الصغار!

إنهم يعرفون أيّة أهمية تمتلك الأخلاق.. الأخلاق أنجعُ طريقة لأجل التصرّف بالناس من أنوفهم.

الواقع أنّ هذا أكبر خيلاء مدركة ممن يعتقدون كونهم مختارين، مع تمثيل دور العفّة ومن ثمّ يتشكل حزبان: حزب يمركز في ذاته مرّة واحدة وإلى الأبد، كحزب للحقّ، أنّه "الجماعة"، "الأخيار والعادلون"، بينما يضع البقية أيّ (العالم) في الجهة الأخرى.

هذا كان الشكل الأكثر شؤماً لجنون العظمة المصادف فوق وجه الأرض .. تلك الطروح والمسوخ الضئيلة من التُقاة الكذبة، بدأوا يدّعون لأنفسهم مفاهيم "الله" "الحقّ" "النور" "الروح" "الحب" و"الحكمة" و"الحياة" كمرادفات لذواتهم في مقصد منهم لوضع حدّ بينهم وبين العالم.

يهودٌ صغار متميزون، ناضجون لكلّ صنف من مشافي المجانين قلبوا القيم لأجل ذواتهم، وأداروها لصالحهم. كما لو أنّ المسيحي صار بالتأكيد المعنى، الملحّ، والمقياس والحكم النهائي لكلّ الناس الآخرين. كلّ هذه البغضاء النكدة ذات الشؤم، فقط أمكن لها أن تقوم عبر وجود هكذا نمط من جنون العظمة، متماثل سلاليا: عبر اليهوديّ.

وبعد ذلك الحين انشقّت الهوّة بين اليهود والمسيحيين من أصل يهوديّ؛ ولم يبق للآخرين أيّ خيار غير استخدام التصرّفات ذاتها لحفظ الذات والتي تسترشدُ الغريزة اليهودية ذاتها ضدّ اليهود أنفسهم؛ بينما اليهود حتّى الآن، يستخدمونها ضدّ كلّ من ليسوا يهوداً.

إنّ المسيحي هو فقط يهوديٌّ معتقد أكثر حريّة.

-45-

أمضي لتقديم بعض الدلائل عمّا أدخله هؤلاء الناس الصغار[1] في رأس المعلّم، وعمّا وضعوه في فمه. محض اعترافات إيمان من "أرواح علوية".

((وكلّ من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحقّ أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً ممّا لتلك المدينة)) مرقس 6: 11

أيّ انجيليّة!

((وإن أعثرتك عينك فاقلعها. خيرٌ لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنّم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ))

مرقس9: 47 — 48.

بالتأكيد ليس العين ما تعنيه هذه الكلمات.

((ومن أعثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوّق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر)) مرقس 9: 42

[1] من الصغارة المعنوية.

أيّ انجيليّة هي هذه!

((الحــقّ أقول لكم أنّ من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ملكوت الله قد أتى بقوّة)) مرقس 9: 1

تكذب جيّداً أيها الأسد[1].

((من أراد أن يأتــي ورائـــي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.. لأنّ))

(ملاحظة من نفساني: الأخلاق المسيحيّة مدحوضة بما فيها من "لأنّ": إثباتاتها تفنّد. هذا ما هو مسيحي). مرقس 34.8

((لا تدينــوا لكــيْ لا تُدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون)) متّى 7: 1 ــ 2

أيّةُ فكرةٍ عدالة، وأيّ قاضٍ عادل!!

((لأنّه إن أحببتم الذين يحبونكم فأيّ أجر لكم. أليس العشّارون أيضــاً يفعلــون ذلــك. وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأيّ فضل تصنعون أليس العشّارون أيضاً يفعلون ذلك)) متّى 5: 46-47

مبدأ "الحــبّ المســيحي": إنه لا بد أن تكون في النهاية حسن المكافأة.

---

[1] رمز مرقس الأسد.

((وإن لــم تغفــروا للـــناس زلاّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتكم)) متّى 6. 15 هذا يلقي ضوءاً قويّاً يثير الريبة، حول ما قلناه أعلاه عن "الآب"

((ولكن اطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلها تزاد لكم)) متّى 6: 33

((كــلّ هــذه الأشـــياء)) تعني. الغذاء، اللباس، وكلّ ما هو ضروريّ للحياة، وإنّه لخطأ

التحدّث عنها بتهوين وجعلها قليلاً.

قليلٌ بعد ويظهر الله كخيّاط، أقلّه في بعض الأحوال!

((افــرحوا فـــي ذلك اليوم وتهلّلوا، فهوذا أجركم عظيم في السماء. لأنّ آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء)) لوقا 6. 23

أيّة حثالة ليست تخجل، حتّى يقارنوا أنفسهم بالأنبياء.

((أمـــا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأنّ هيكل الله مقدّس، الذي أنتم هو)) كورنثس1 3: 16-17

أفكار كهذه تستحق الاحتقار الأعمق.

((ألستم تعلمون أنّ القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى)) كورنثس1 6: 2

أسفاً أنّ خطاباً كهذا غير مُمضيّ إلى مأوى مجانين فقط؛ وهذا الكـذّاب المـريع يتابع حرفياً هكذا: ((ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة)).. ((ألم يجهّل الله حكمة هذا العـالم؟ لأنّه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّـص المؤمنين بجهالة الكرازة ــ فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد؛ ليس كثـيرون أقويـاء، ليس كثيرون شرفاء ــ بل اختار الله جهّال العـالم ليخزي الحكماء،واختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واخـتار الله أدنـياء العالم والمزدرى والذي هو لاشيء ليبطل الموجـود، لكي لا يفتخر كلّ ذي جسد أمامه)) اكورنثوس 1: 20 وما يتلو.

لفهـم هـذا المقطع، الذي هو إثبات من الدرجة الأولى على نفسيّة كلّ أخلاق المستبدين Chandala، فليقرأ الجزء الأول من كتابـي ((أصـل الأخـلاق)) ففيه تُظهر إلى النور لأول مرّة المناقضة بين أخلاق نبيلة أرستقراطيّة وأخلاق المستبدين، هذه الأخلاق التي هي وليدة الضغينة الحقود والانتقام العاجز.

بولس كان الأكبر بين رسل الانتقام

- 46 -

ماذا يُستنتج من هذا ؟

أنّ المـرء يحسن صنعاً إنّما وضع القفازات عند قراءة العهد الجديد؛ إذ أنّ الدنوّ من هكذا وساخة يكاد يضطرّنا إلى هذا.

لن نرتضي رفقة ((المسيحيين الأوائل))، مثلما لسنا نختار أن نرافق اليهود البولنديين.

لـيس حتّى ضرورياً إشهار الحجّة لمعارضتهم؛ فكلٌ منهما يزفرُ رائحة كريهة.

عبـثاً فتّشـت فـي العهد الجديد، علّيْ أجد ولو فقط قَسَمَةً ظريفة: فما به من شيء حرّ، أريَحيّ، كريم، شريف.

هـنا لم تبدأ حتّى الآن الصيرورة البشريّة ــ تنقُّص غريزة النظافة.. ليس في العهد الجديد أكثر من غرائز سيئة.. ليس فيه ولا حتّى الاندفاع لتأكيد هذه الغرائز السيئة.

كلّه جبانة.. كلّه: إغلاق أعين وخداعٌ للذات.

كـلّ كتاب يبدو نظيفاً غبّ أن يفرغ المرء من قراءة العهد الجديـد: لإعطاء مثال، فإنني مباشرة بعد قراءة بولس قرأت

وبانحطاط وافتتان "حقيقي" "بيترونيوس"[1] ذلك الساحر الظريف الهجّاء والجريء، والذي يمكن أن يقال عنه ما كتبه "دومينيكو بوكاشيو" عن "سيزار بورجيا" إلى "الدوق دي بورما":

((إنّــه تام الرسوخ [e Tuttofesto] . لطيف بدوام، وسعيد بدوام، وناجحٌ تماماً)).

هــؤلاء الــنقاة المــنافقون أخطأوا حساباتهم، وبالتأكيد من الأساس إنهم هاجَموا، لكن بهذا كلّ ما كان مهاجماً منهم جُعل مميّزاً.

عـــندما ميحيٌ من المسيحيين الأوائل يهاجم، فإن المهاجم لا يكون ملطّخاً... بل بالعكس. إنّه لشرف أن يكون ضدّه مسيحيٌ بدني.

إنّ العهــد الجديد لا يمكن قراءته دون الشعور بتفصيل ذلك الــذي يُعمل فيه بسوء؛ ولا نتكلّم عن ((حكمة هذا العالم)) التي يحــاول بجّــاح متعجرف عبثاً أن يحطّ من شأنها عبر عظاته الحمقـــاء.. حـــتّى أولئك الكتبة والفريسيون استفادوا من هكذا

---

[1] الأرجح أنّه جايوس بترونيوس الذي قُتل بأمر نيرون. بقي بعض كتابه الساتريكون الذي يعني الخليط من نثر وشعر وفلسفة ومغامرات. يقول ول ديورانــت عــن الكتاب: الكتاب كلّه خلوٌ من الرحمة وليس فيه شيءٌ من العطــف علــى الــناس، ولا يهدف إلى مثل أعلى، ويرى كاتبه أنّ الفساد وسوء الخلق أمر طبيعي ولا غبار عليهما.

عداوة. يجب أن يكونوا قد حازوا قيمة ما كيما يكونوا معوضين بطريقة مشينة غير ذات لياقة كهذه.

المــراءاة (أو الفرّيســيّة) ستكون اللوم الذي يقدر أن يفعله المسيحيون الأوائل.

وفــي التحلــيل الأخير كان الكتبة والفريسيون هم أصحاب المــيزة إذ أنّه كشف بعصــا الطبقة الحقيرة وليس ثمّة حاجة إلى علّة أخرى.

المســيحي الأوّل ، وأخشى أن يكون كذلك المسيحي الأخير الذي ربّما أعيش ما يكفي حتّى أراه، هو ـــ انطلاقا من غرائز عميقة ـــ تمرّد ضدّ كلّ متميّز.

إنّــه يعــيش دائمــا ويحــارب دائما لأجل ((المساواة في الحقوق))!

وإنّمــا لوحظ جيّداً ، فإنّه لا يملك خياراً آخر . فإذا أراد واحدٌ أن يكون في شخصه الذاتي ((مختاراً من الله)) أو ((هيكلا لله)) أو ((ديّانا للملائكة))، إذّاك فإنّ كلّ مبدأ اختيار آخر مؤسسا مثلاً على الشرف، على الهمّة، على الرجولية والفخر ، على الجمال، وحريّة القلب، هو ببساطة ((العالم))، الشرّ في ذاته!

مغزى: كلّ كلمة في شفتيّ مسيحي من الأوائل هي كذبة، كلّ فعل من أفعاله هو زيف فطري، كلّ قيمه، كلّ غاياته هي وبيلة مؤذية، إنّما ما يبغضُ فذاك يمتلك قيمة.

المسيحي، وخصوصاً المسيحي الكاهن، هو معيار القيم.

أواجبٌ عليّ أن أضيف مع ذلك أنّه في كامل العهد الجديد تُصادف هيئة واحدة جديرة بأن تُشرَّف؟ إنّه بيلاطوس الوالي الروماني. فأن يأخذ بجديّة قضيّة بين اليهود، فهذا شيء ممّا لا يقوم في نفسه. فأي أهمية ليهوديّ واحد أكثر أو أقلّ؟

الهزء الأرستقراطي لروماني تجاه القيام بتحريف وسوء استعمال لئيم مشين للكلمة: "حقيقة" أغنى العهد الجديد بكلمة وحيدة قيّمة، والتي هي بذاتها الحكم عليه والنقض الهدّام له: ((ما هو الحقّ))[1].

- 47 -

ليس ما يميّزنا كوننا لم نعد نصادف إلهاً لا في التاريخ ولا في الطبيعة، كما ولا فيما خلف الطبيعة، وإنّما كوننا نعدّ ما يحتوي تحت اسم "الله" لا كألوهة وإنّما كبؤس مؤسف ومحال وضرر.. لا فقط كخطأ، وإنّما كجريمة ضدّ الحياة..

[1] يوحنا 18. 37-38 "فقال له بيلاطس أفأنت إذا ملك؟ أجاب يسوع أنت تقول إني ملك لهذا قد ولدت انا ولهذا قد اتيت إلى العالم لأشهد للحقّ كلّ من هو من الحقّ يسمع صوتي* فقال له بيلاطس ما هو الحقّ؟!"

إننا نرفض الله كونه إلهاً. وإنّا نحن امتحنّا هذا الإله المسيحي، فإنّنا ندرك أنّ إيماننا به سيمسي أقلّ. وحتّى نعبّر بصيغة:[1]

((deus, qualem paulus creavit, dei negatio))

((الله كما آمن به بولس، هو الإنكار لله))

إنّ ديناً كالمسيحيّة لا يلامس الواقع ولا من أيّة نقطة، والذي حالاً يسقط في اللحظة التي يمتلك فيها الواقع حقّه ولو في نقطة واحدة، يجب أن يكون بطبيعته عدوّاً حتّى الموت ((الحكمة هذا العالم)) أعني "للعلم". إنّها (أي المسيحيّة) تستحسن وتستسيغ كلّ الوسائط التي بها يكون ممكناً تسميم وتشويه سمعة، والحطّ من قدر، تعاليم الروح الشهمة، والصفاء والقسوة في أمور الضمير الوجداني، والتحفظ النبيل وحرية الروح.

((الإيمان)) كأمر، هو ((فيتو)) ضدّ العلم.. وعملياً هو الكذب بأيّ ثمن.

ولقد علم "بولس" أنّ الكذب، وأن ((الإيمان)) أمورٌ ضرورية. ومن جهتها، وفي فترة لاحقة، فإن الكنيسة قد فهمت "بولس".

[1] باللاتينية في الأصل.

ذاك الإلــه الذي اخترعه "بولس" وهو إله "يحطّم حكمة هذا العــالم" (بمعنى دقيق، فإنّ العدوّين الكبيرين لكلّ طيرة وخرافة همــا فقــه اللغة والطبّ) في الحقّ أنّ ذلك الإله ليس إلاّ القرار الوطـــيد لبولس نفسه كي يعمل هذا: أن يدعو الله ما هو إرادته الخاصّة، وهذا ليس غير نمطيّة يهوديّة.

بولس يريد تدمير "حكمة العالم"، وأعداؤه كانوا علماء اللغة الجيديين وأطباء المدرسة الإسكندرانية ــ وضدهم شنّ حربا. فعلـــيّاً لا يكون عالم لغة (فيلولوجي) أو طبيب كذلك عن حقّ، دون أن يكون بذلك، ومباشرة، مضاداً للمسيحيّة.

إن المـــرء، كعالم لغة، ينظر فعليّاً ما وراء الكتب المقدسة، وكطبيـــب مـــا وراء الانحطـــاط الجسدي الفيزيولوجي للنمط المسيحي.

الطبيـــب يقـــول: "لا سبيل للشفاء". الفيلولوجي يقول: "كذبة وشعوذة خادعة".

- 48 -

أتـــراه قدْ فُهم جيداً في الحقيقة التاريخُ الشهير الموجود في مطلع التوراة والخوف الجهنّمي لله من المعرفة؟

كلاّ لم يفهم.

هـــذا الكـــتاب الكهنوتي بتميّز يبدأ، كما لو أنّه الحقّ والأمر الطبيعي، بالضيق الداخلي الكبير للكاهن: إنّه لا يعرف فقط إلاّ خطراً جدّيّاً واحداً، ومن ثمّ فالله ليس يعرف إلاّ هذا الخطر.

الله الهرم، كلّ "روح"، كلّ كاهن رفيع المرتبة، وكلّ كمال، يتنزّه بسرور في حديقته، وإنّما يَعروه الملل.

وضدّ الملالة يصارع عبثاً حتّى الآلهةُ. ما العمل؟ إنّه يخترع الإنســـان بالـــنظر إلـــى الإنسان كآلهة. لكن قد وجب هنا أنّ الإنسان يملّ أيضا. والله يردّ فعل وبرحمته غير المحدودة تجاه البلـــيّة الوحـــيدة الخاصّـــة بكلّ الجنّات. يخلق سريعا حيوانات أخرى. زلّة الله الأولى: إنّ الإنسان لم يجد سلوة في الحيوانات؛ تسلّط عليها ولم يُرِدْ حتّى أن يصير "حيوانا".

بالنتـــيجة، يخلـــق الله المرأة. وبالفعل فإنّ السآمة لاقت هنا نهايتها، ولكن كذلك انتهت أشياء أخرى! لقد كانت المرأة الزلّة الثانية لله. ((المرأة بجوهرها أفعى، حوّاء))[1] ـــ هذا ما يعرفه كـــل كاهـــن ((من المرأة يأتي كل شر في العالم)) ـــ وهذا ما يعـــرفه ذات المنحى أيضا كلّ كاهن ((لكن بالنتيجة، منها أتى

---

[1] اقتباس من يوليوس وليلوزن "تمهيد في تاريخ إسرائيل" برلين 883، [P]

كدلــك العلم)). فقط بوساطة المرأة تعلم الإنسان أن يتذوق من شجرة المعرفة

مــاذا حدث؟ ضيقٌ ملتاعٌ مريع تحكّم بالله العجوز. الإنسان نفسه تحوّل إلى غلطته الكبرى؛ لقد خلق خصماً منافساً، والعلم أقام [من الإنسان] مساوياً لله.

إنّها نهاية الكهنة ونهاية الله إذا ما انقلب الإنسان علمانياً!

عــبرة: العلم هو الممنوع بذاته؛ فقط هو الممنوع. العلم هو الخطيئة الأولى وأصل كلّ خطيئة؛ الخطيئة الأصليّة ــ هذا هو فقط الأخلاق.

((لا تكن ذا معرفة)): والبقيّة تتأتّى من هذه الوصيّة.

خــوفٌ وضيق الله المريع لم يمنعه من أن يكون ذكياً. كيف يمكــن مقاومــة العلــم؟؟ هذا ما كان عبر زمن طويل مشكلته الرئيسة. والجواب: فليُطرد الإنسان من الجنّة!

الســعادة والفراغ سبيل إلى التفكير، وكلّ الأفكار هي أفكار رديــئة.. الإنســان لا يجب أن يفكّر ــ و((الكاهن في ذاته))[1] يبــتدع الإرغام، الموت، الخطر القاتل للتفكير، وكلّ شكل من

[1] صــياغة تشبيهيّة "للشيء في ذاته" عند كانط، وقد دفع نيتشه على تقدم معنى تحقيري.

بــؤس، الشيخوخة، العناء، وفوق الكلّ المرض. وسائط محضة خالصة في الصراع ضدّ العلم!

البؤس المرغم لن يسمح للإنسان بالتفكير.

مــع ذلك ثمّة ما هو أكثر رعباً!! عمل المعرفة يرتفع مثل برج، متجاسراً على السماء، ومُحِلاًّ شفق الأرباب، فما العمل!!

الله اخــترع الحــرب، وقسّم الناس، وعمل ما يجعل الناس يــتفانون فــيما بيــنهم. (إنّ الكهــنة كانوا دائماً في عوز إلى الحرب..) والحرب، بين أشياء أخرى، معكّرة عظيمة للعلم.

شــيءٌ لا يُصدّق!! المعرفة، والتحرّر تجاه الكهنة، يتناميان رغم الحروب.

قــرار أخير يتخذه الله الهرم: ((لقد صار الإنسان علمانياً ــ ليس ثمّة ما يمكن فعله بعد. يجب أن يُغرق!)).

- 49 -

هــل كنتُ مفهوماً؟ بداية التوراة تضمّ كلّ نفسيّة الكاهن ــ والكاهن يعرف خطراً واحداً فقط: العلم، والمفهوم السليم للسبب والنتيجة. لكن العلم على العموم يزدهر فقط تحت أجواء سعيدة

مواتية — لأجل "المعرفة" يجب احتقار الوقت و "الهمّة النفسيّة" الوافرين للبحث. ((بالتالي، يجب جعل الإنسان غير سعيد)). هذا في كلّ زمان منطق الكهنة، ويمكن أن يحزر — تبعاً لهذا المنطق — ما وفد أوّلاً إلى العالم: الخطيئة.

مفهوم الخطيئة والعقاب، وكلّ ((النظام الأخلاقي للعالم)) قد تمّ اختراعهم ضدّ العلم ، ضدّ الانعتاق الإنساني تجاه الكاهن... الإنسان لا يجب أن ينظر أبعد من ذاته؛ يجب أن ينظر إلى داخله؛ لا يجب أن ينظر باطن الأشياء بذكائه وفطنة كيما يتعلّم، وبالحري ألاّ ينظر البتّة: يجب أن يعاني... ويجب أن يعاني بطريقة تقتضي دوام الحاجة إلى الكاهن.

بُعداً للأطبّاء! إذ الحاجة إلى مخلّص.

مفهوم الخطيئة والعقاب، متضمناً عقيدة "النعمة" و"الفداء" و"الغفران"، أكاذيب تامّة، خالية من كلّ واقعية نفسيّة، ومبتدَعة لتدمير الشعور بالعلّيّة عند الإنسان: إنّها التهجّم على مفهوم السبب والنتيجة! — وما هو بهجوم بالقبضات وبالسكين، وبالإخلاص في البغضاء والمحبّة! بل انطلاقاً من الغريزة الأكثر جبناً، الأكثر مكراً واحتيالاً، الأكثر دناءة خسيسة! إنّه هجوم كهنوتي! هجوم متطفّلين! إنّه امتصاص الدماء الخاصّ بعلقة شاحبة ديماسية سردابيّة.[1]

[1] هذا تعريض بأماكن اجتماعات المسيحيين الأوائل.

عندما لا تعود النتائج الطبيعة لفعلٍ ما ((طبيعيّة)) وإنّما تصوّر بطريقة غرائبيّة [فانتازيا] كأنّها منتجات للخرافة المتطيّرة، و"الإله" و"الأرواح" و"نفوس"، وكنتائج صرف "أخلاقية"، وكمكافأة أو عقاب، وعلامة، وكمقياس لأجل التربية والتأديب، حينها، فإن ظروف المعرفة الملائمة تكون متأذية ومخرّبة، وحينها تُرتكب الجريمة الكبرى تجاه البشرية.

الخطيئة، أقول من جديد، هذا الشكل الامتيازي للتحقير الذاتي للإنسان، قد ابتُدِع كيما يُجعل العلم غير ممكن، والحضارة مستحيلة، والنبل البشري.

الكاهن يبسط سلطته عبر بدعة الخطيئة.

- 50 -

لدى الوصول إلى هذه النقطة لن أدع إبداء تحليل نفسي "للإيمان" وللمؤمنين، فيه منفعة واضحة، بالتأكيد، للمؤمنين.

إنّما لم يكن اليوم قلّة أولئك الذين لا يعرفون إلى أيّ حدّ من شيء تنبع الكينونة "مؤمن"، أو كيف أن ذلك علامةُ انحطاط ونقص في إرادة الحياة، فلسوف يُعرف غداً.

إنّ صوتي ليصل كذلك إلى تلك الأسماع الثقيلة: يظهر ــ إمّا لم أكن قد سمعت بشكل رديء ــ أنّه يوجد بين المسيحيين نوعٌ مــن معيار للحقّ، يُدعى "اختبار القوّة": ((الإيمان يجعلنا سعداء ومن ثمّ فهو حقيقي)).

قــبل كــل شيء يمكن هنا الاعتراض بأنّ هذه السعادة غير مثبــتة مؤكّداً، وإنّما هي لا تعدو كونها وعداً: الغبطة السرمدية ترتــبط بظــروف الإيمان ــ يجب أن تُدرك السعادة إمّا وجد الإيمان.. لكن!

أي شــيء يبرهــن أنّــه ســيحدث بالفعل ما يعد به الكاهنُ المؤمــن، في الأخرة العصيّة على كلّ تثبّت؟! والزعم "اختبار القــوّة وإثباتها "ليس إذّ بدوره غير اعتقاد بأنّ ما ينتظره المرء من الإيمان لن يلبث أن يقدّم نفسه.

فــي صــيغة مناسبة. "في عقيدتي أنّ الإيمان يهب الغبطة المطلوبة للإنسان، وبالتالي هو حقيقي".

إنّمــا بهــذا نكون قد وصلنا إلى النهاية.. هذه الــ "بالتالي" تجْعَلُ الباطل المحال نفسه مأخوذاً كمعيار للحق.

فلنفــترض ــ مع ذلك، ومع شيء من التساهل ــ ثبوتيّة أنّ الإيمان يضمن السعادة ــ لا فقط تطلّعاً، لا فقط وعداً من الشفاه المريــبة للكاهن ـــ فلنكون الغبطة مرّةً ــ ولأتكلّم بشكل أكثر تقنيّة ــ أيكون السرور برهاناً على الحقّانيّة؟

لــيس هو كذلك بل لعلّه إثباتٌ للعكس، وفي كلّ حالة يُعطى الانطــباع بالشــكّ الأكــثر توجساً تجاه الحقيقة، عندما مشاعر السرور تبادر إلى الكلام متسائلة: "ما هي الحقيقة"؟

إن ما يثبته السرور هو إثبات للسرور، فقط لا أكثر.

علــى أيّ أســاس يمكن أن يُستنتج التأكيد بأنّ تلك الأحكام الحقّــة تســبب سروراً أكبر ممّا تسبّبه تلك الزائفة وأنّها، تبعاً لتوافق متناغم مقدّر مسبقاً[1]، تحمل معها حتماً مشاعر مسرّة؟

إنّ تجربة كلّ النفوس الصارمة والعميقة تشير إلى العكس.

فــي الصــراع لأجل الحقّ، يجب أن يُنتزع بعزم وافر كلُّ شيء، ويجب أن نكرّس من أجله تقريباً كلّ ما هو ممتع لقلوبنا، لحبنا، وداعمٌ لثقتنا في الحياة. لأجل هذا تُقتضى عظمة النفس، إذ خدمة الحقيقة هي الخدمة الأكثر مشقة.

مــاذا يعنــي الصيّر إلى النزاهة في أمور الروح؟ يعني أن نكون صارمين مع قلوبنا محتقرين "للمشاعر الجميلة"، وأنّه في كلّ إثبات ونفي (نعم، لا) تقوم حالة من حالات الضمير[2].

---

[1] مفهوم لدى لايبنتز لشرح العلاقة بين الجسد والروح [م].

[2] يجــدرُ الالتفات إلى المعنى الأوسع في الإنكليزية لكلمةConscience والإسبانية conscıencıa إذ تعني الإدراك الواعي لا محض "الضمير" بما يحمــل فــي تعبيــره العربــي من طبيعة مضمرة وبما هو جبلة أصلية! وكأنّه"صوت الله فينا"!! نيتشه يصحّح هذا الفهم اللاحق.

الإيمان يجعلنا سعداء، وعليه، فإنّه يكذب.

- 51 -

كون أنّ الإيمان في ظروف معيّنة يهبُ الإنسان غبطة، وأنّ الغــبطة حتّى الآن مع ذلك لم تجعل من فكرةٍ ثابتة فكرةً حقّة، وأنّ الإيمـــان لا يحــرّك الجبال وإنّما يقيم جبالاً حيث لا يوجد جـبال: مـــا هـــو كفايـــة حول هذا تكشفه لنا جولة في مأوى المجانين.

وهـــذا بالتّأكـــيد لا يُقْـــنِع الكهن: لأنه يرفض بالغريزة أنّ المرضَ مرضٌ ومأوى المجانين مأوى مجانين.

المســيحيّة تحــتاج إلـــى المــرض بمقدار ما يحتاج أولئك الأغارقـــة إلـــى وافر الصحّة.. والإمراض هو المقصد الخفيّ الحقيقي لكلّ نظام المعالجة الخاصّ بالكنيسة.

والكنيســة نفســها؟! أليست انها مأوى المجانين الكاثوليكي، الغايـــة فـــي المـــثال؟ وكذلك العالم في اعتبارات عامّة كمأوى للمجانيـــن؟ إنّ الإنسان المتديّن — كما تريده الكنيسة — منحطّ نموذجـــي؛ وفـــي كلّ زمن، تتحكم فيه بشعب أزمة دينيّة، فانّه

يتمـــيّز بجائحـــة عصبيّة؛ و((العالم الداخلي)) للإنسن المتديّن يظهر مشابهاً للعالم الداخلي للمتهيجين بزيادة والمنهكين، وحتّى لا يتمايز عنه.

تلـــك الحالات السامية للروح التي تموضعها المسيحيّة فوق البشريّة كقيمة القيم هي حالات صرعيّة.. وإنّها لتكرّس في كليّة شرف الله حصراً المجانين أو كبار المحتالين.

لقد سمحتُ لنفسي في إحدى المناسبات أن ألقّب كلّ التدريب المسيحي للتوبة والخلاص (والذي هو مدروس اليوم خصوصاً فـــي انجلـــترا) كجنون دوري [Foliecirculaire][1] متحصّل منهجيّاً — كما هو مفترضٌ وواضح — فوق أرضيّة معدّة لأجله، وهذا يعني: مراضة بالكليّة.

لـــيس من أحد حرّاً في صيرورة مسيحيّ.. والمرء لا يُهدى إلى المسيحيّة: يجب أن يكون مريضاً بما فيه الكفاية لأجله.

نحن الآخرين الذين يمتلكون الشجاعة الكافية ليكونوا أصحاء ومحتقريـــن: بـــأيّ عمق علينا أن نحقر ديناً علّم أن ينظر إلى الجســـد بســـوء!.. ولـــم يـــرد أن يتخلّص من خرافات النفس المتطـــيّرة! . والذي يعدّ نقص التغذية جدارة وفضلا!.. والذي

---

[1] فـــي شـــذرة من عام 1888 كتب نيتشه: "الهوس الديني يظهر عادة في شكل جنون دوري بحالتين متناقضتين: الانكماش المحبط، والاندفاع." [P]

يحـــارب في الصحّة شكلا من عدوّ، من شيطان، من غواية!.. والذي يتصوّر باقتناع أنّه من الممكن حمل روح كاملة في جسد هو جثّة، والذي لأجل هذه الغاية قد وجب عليه أن يشكّل مفهوماً جديـــداً للكمال مخلوقاً شاحبا، مرضيّ، متعصّباً بجهالة، مدعوّاً "القدســـة".. القداســـة التـــي هي نفسها ليست أكثر من سلسلة علامـــات عـــن الجسد المضني، المُفقر، المتعفّن إلى درجة لا يمكن معها الشفاء!

الحركة المسيحيّة كحركة أوروبيّة، هي مقدّما ومن أساسها، حـــركة لعناصـــر الحثالة والحقارة من كلّ صنف، والتي تريد امتلاك القدرة من خلال المسيحيّة.

إنّها لا تعبّر عن انحطاط جنس، وإنّما هي كتلة مختلطة من أشكال شتّى للانحطاط، ومن كلّ مكان تتقرّى وتتراكم.

مـــا جعـــل المسيحيّة شيئاً ممكناً ليس انحلال وفساد القديم، القديـــم الأرستقراطي؛ فبدأ ليست تناقص وتُنتقد بصلابة كافية الجهالةُ المتفقّهة التي تدعم حتّى اليوم وجهة نظر كهذه.

– فعـــي الفترة التي فيها نضّرت الطبقات السقيمة والمتعفنة من الحثالة [Chandala] في كلّ الإمبراطورية[1]، صودف تكلّ

[1] imperium باللاتينية في الأصل

جـــلاء النمط المعاكس، الأرستقراطيّة، في شكلها الأكثر جمالا ونضجاً.

العـــدد الأكـــبر توصـــل ليصير سيّداً، وديمقراطية الغرائز المسيحيّة تعلّمت .. المسيحيّة لم تكن "قوميّة"، ولم تكن مشروطة ومرتهـــنة بالجنس، فقد توجّهت إلى كلّ صنف من المحرومين من الحياة، ولاقت في كل صقع أحلافاً.

المســـيحيّة تقوم على قاعدة من ضغينة[1] المرضى الحاقدة، الغريزة الموجّهة ضدّ الأصحّاء، وضدّ الصحّة. [إنّ كلّ ما هو موفّـــق، مـــتفاخر، ســـام]، وفوق الكلّ الجمال، يجرّح الأسماع والعيون.

سألفت الانتباه مرّة أخرى إلى كلمات بولس التي لا تثمّن:

((الذي هو تجاه العالم ضعيف.. الذي هو تجاه العالم جاهل، الذي هو غير نبيل، ومحتقَر، ذاك الذي اختاره الله))

هذه كانت الصيغة، "وتحت هذه العلامة" [In hoc signo.][2] تغلّبت الحطّة.

[1] rancune باللاتينية في الأصل

[2] صيغة مأخوذة من الرواية الزاعمة أنّ الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبـــير 337- 306 في حربه مع مكسنتيوس ظهرت له علامة صليب من نـــور ذا تغلّـــب. أمّا يوسابيوس القيصري في الكتاب التسع الفصل التاسع فقـــرة 10 و 11 فيقول إنّه بعد انتصاره "وقد رأى أنّ معونته كانت من قبل

الله معلقـاً على الصليب! أحتّى الآن لم تفهم الفكرة المريعة المختبئة وراء هذا الرمز؟!

كلّ ما هو معاناة، كلّ ما هو معلّق على الصليب، هو إلهي. نحن جميعاً معلقون على الصليب، وبالتالي كلّنا إلهيون. ونحن فقط المؤلّهون والمقدّسون..

المســيحيّة كانــت نصراً، وبها حُطّمت ذهنيّة أكثر نبلاً. لقد كانت المسيحيّة حتّى اليوم البليّة المشؤومة الأكبر ضدّ البشرية.

ـ 52 ـ

تقــوم المسيحيّة كذلك في مناقضة لكلّ عقليّة حسنة التكوين؛ إنّها فقط تستفيد من العقل المريض بوصفه عقلاً مسيحيّاً.

تـتحزّب لكلّ ما هو أبله، وترمي بلعنتها ضدّ كلّ ذي همّة ونخوة، وضدّ رفعة العزم السليم..

الله، أمـر فـي الحال بأن يوضع في يد تمثال تذكار آلام المخلص علامة الصـليب المخصـص وينـقش عليه: بهذه العلامة المقتدرة أنقذت مدينتكم، روما".

وبمـا أنّ المرض ينتمي إلى طبيعة المسيحيّة، فكذلك الحالة المطـيّة للـروح المسيحيّة ـ الإيمان ـ فيه ما يعني منه شكلاً من مـرض؛ وكلّ تلك الطرق المستقيمة الشريفة العلميّة التي تقود إلى المعرفة، هي هكذا يجب أن تكون مرفوضة من المسيحيّة كطرق ممنوعة..

الشـكّ وقـد صـار خطيئة، والغياب التام للعناية بالنظافة الجسـديّة لـدى الكاهـن ـ ويشـي بذلك النظر ـ هي نتيجة للانحطـاط... نُلاحظ في النساء الهستيريّات، ومن جهة أخرى فـي الأطفـال الخرعيـن، كـيف ينتظم بشكل شائع التزييف الغريـزي، ولذّة الكذب لأجل الكذب، وعدم القدرة على النظر والتقدم إلى الأمام، بوصفها تعابير ومظاهر عن الانحطاط

الإيمان يعني "عدم ـ الرغبة" في معرفة ما هي الحقيقة.

ذو الـتقوى، الكاهن لكلا الجنسين، هو زائف لأنّه مريض: غريـزته تقتضي ألاّ يسود الحق في أيةّ نقطة: ((ما هو مريض هـو خـير.. ما يتأتّى عن الحق وعن وفرة وترابي العزم هو شـر)) هكذا يفكر المؤمن. انعدام الحرية تجاه الكذب هذا هو الملمح الذي يتكشّف لي من خلاله أيُّ لاهوتي مكرّس سلفا.

أمر آخر غَريزي عند اللاهوتي: عدم تمكّنه من فقه اللغة؛ إذ يفقــه اللغة، وضمن معنى عامّ جداً، يُفهم فنّ القراءة الجيدة، فنّ

القدرة على قراءة الأعمال دون تزييفها عبر التأويل، ومن غير أن يُضيِّع السعيُ الدؤوبُ إلى الفهم الفطنة والصبر والتدقيق.

علم اللغة كتثبّت مدقّق في التأويل يُتعامل به الآن مع الكتب، والأنباء الصحفيّة، ومع التقديرات والوقائع المناخيّة، حتّى لا نتكلّم بشيء عن "خلاص النفس".

إنّ الطريقة التي يؤول بها لاهوتيّ، سواء صودف في برلين أو في روما، ((كلمة من الكتاب))، أو حادثة، وعلى سبيل المثال انتصاراً لجيش بلاده، على ضوء علويّ من مزامير داود، هي دائماً طريقة تحكميّة، بحيث تجعل الفيلولوجي يفقد الصبر ومجنوناً.

وعندما يقال عندما أولئك التقاة، وتلك الأبقار السوابيّة[1] يسوّون العيش اليومي التاعس، وهذا المأهل المفعم بالدخان، والذي هو وجودهم، بـ (إصبع الله) جاعلين منه أعجوبة "نعمة" و"عناية إلهية"، ومعجزة "اختبار الخلاص"؟!!

إنّ حظّاً متواضعاً من تشدّد النفس والعبقرية، حتّى لا نقول من اللياقة، يجب أن يُري هؤلاء المؤولين الصبيانيّة الكليّة في هذا الاستعمال المشين لشعوذة "إصبع الله"..

---

[1] حيث يقع معهد توبنجه اللاهوتي في سوابيا والمتأثر بشدة بالحركة التقوية. فهو يسخر من السوابيين. راجع فقرة 10

إنّنا خزنّا قدراً من التقوى في الجسد، أقلّ ممّا هو عليه، فإنّ الله الذي يداوينا من نزلة برد، والذي يجعلنا نصعد إلى العربة في اللحظة الأكيدة التي فيها يبدأ انسكاب مطر غدق، يجب أن يكون عندنا ـــ إلهاً محالاً، وإمّا وُجد يجب أن يُبطَل.

إلهٌ كساعٍ، كحامل للرسائل، كبائع جوّال، هو في حقيقة الأمر كلمة لتعيين النوع الأكثر حمقاً بين كلّ المصادفات.. ((العناية الإلهية)) كما يُعتقد بها حتّى الآن كثالث في العبادة الألمانية، تصبح معارضةً ضدّ الله لا يمكن إزاءها التفكير بأحرى أكثر شدّة!

وفي كلّ الأحوال هي معارضة ضدّ الألمان!

- 53 -

أنّ الشهداء يدلّلون بمعاناتهم على حقيقة، هو اعتقادٌ بالغ البطلان بمقدار ما أنّني أميل إلى إنكار أنّه قد وجد أيّ شهيد يملك، بأيّ معنى، شيئاً يراه عبر الحقيقة..

في السيرة التي يرمي من خلالها الشهيد في وجه العالم معتقده، تتبدّى درجةٌ بالغة الانخفاض من النزاهة العقلية، وخُرقٌ إزاء مسألة الحقّ ممّا لا يحتاج دحضه إلى شهيد.

ليست الحقيقة هي مالا يملكه واحد ويملكه الآخر، إلا هكذا فقط يمكن أن يفكّر حول الحقيقة، كحدّ أقصى، أولئك الريفيون أو الرسل — القرويون على طريقة لوثر.

ويتّسع المجال للتأكيد أنّه تبعاً لدرجة التشكّك وشدّة الارتياب المدقّق في المسائل الروحية يتنامى كلّ مرّة أكثر التواضع والتحفّظ في هذه النقطة.

الاستجابةُ للمعرفة حول خمسة أشياء والدفع بأيد نحيلة وبحساسية معرفة المناقض لها ورفض البقيّة..

((الحقيقة)) كما يفهم هذه الكلمة كل نبيّ، وكلّ مشايع متعصّب وكلّ مفكّر حرّ، وكلّ عالم اجتماع، وكلّ كهنوتيّ، برهان نهائيّ على أنّه لم يجدْ حتّى بدايةً له ذلك التدريب الروحي وتعليم تجاوز الذات، الضروران لإيجاد أيّ مقدار من الحقيقة ولو في أقلّ ما يكون.

أولئك الشهداء — ونقول ذلك عرضاً — كانوا مصيبة كبيرة في التاريخ: لقد ضلّلوا وغرّروا .. وإنّ استنتاج كلّ أولئك البلهاء بمن فيهم النساء والعوامّ، أن السبب الذي يندفع باسمه

واحد إلى التضحية بنفسه (أو ما يولّد — كالمسيحيّة الأولى — جائحة تدفع بالناس إلى نشدان الموت) يملك أهمية في ذاته، هذا الاستنتاج يقوم عائقاً لا يوصف يحول دون النقد وروح التحليل والحذر..

الشهداء أضرّوا بالحقيقة.. وحتّى اليوم يُحتاج فقط إلى ملاحقة بها بعض قسوة لخلق اسم مشرّف لحركة متعصبة لا مبالية في ذاتها. كيف؟! أيكون ممكناً أن التضحية لأجل قضيّة ما يغيّر قيمتها؟

خطأ يصل إلى أن يكون مشرّفاً لهو خطأ يمتلك من الفتنة قدراً يجعله مغوياً.

أتعتقدون أنتم أيها السادة اللاهوتيون أننا سنتيح لكم أن تكونوا شهداء بسبب من كذبتكم؟

تُنقض قضيّة بوضعها بعناية في الثلج، وذات الطريقة يُنقض اللاهوتي.

وبالتأكيد على هذا قامت، في تاريخ العالم، الحماقة المتعالية لكلّ أولئك المضطهدين: بإعطاء مظهر مشرّف لدعوى معاديه، وبمنحها جاذبيّة الشهيد.

وحتّى اليوم تتابع المرأة وقوعها على الركب أمام خطأ، بسبب أنّه قد قيل لها إنّ أحدهم قد مات على الصليب لأجله. ألعلّ الصليب إذاً حجّة؟!

لكــن عــن هذه الأمور كلّها ثمّة واحد فقط قال الكلمة التي كنت هناك حاجة إليها عبر العصور ـ "زرادشت":

((بعلامات الدم تخطون فوق الطريق التي تسلكون، وجهالتكم تعلّم أن الدم يشهد للحقّ.

لكــنّ الـدمّ هو الشاهد الأردأ للحقّ. وإنه ليسمّم حتّى التعليم الأكــثر نقاء، مصيّراً إيّاه هذيان وتعصبا في القلوب. وإمّا عبر أحدهم اللهيب لأجل عقيدته، فماذا يبرهن هذا؟

أكــبر أهميّة منه في الحقيقة، أنّ العقيدة الذاتية تتدفق متقدة بلهيبها الذاتيّ)). (زرادشت ـ الجزء الثاني ـ فصل الكهنة)

- 54 -

لا تكوننّ مخدوعين: النفوس العظيمة متشكّكة. "زرادشت" متشكك..

العــزيمة، والحــرية المتأتيّة من القوّة ومن فرط قوّة النفس تتجلّى عبر الشكيّة.

مــن لهــم معتقدات من ذواتهم لا يستأهلون أن يؤخذوا في الحسبان تجــاه كــلّ المبادئ الأساسية للقيمة واللا قيمة. إنّ

المعتقدات هي سجون... إنّها لا ترى بعيداً بما فيه الكفاية، ولا تــرى مــا تحتها. لكن حتّى تستطيع أن تتكلّم عن القيمة وعدم القيمة يجب أن تنظر خمسمئة عقيدة تحتها ووراءها.

الــروح المتطلّعة إلى أشياء عظيمة وتريد أن تمتلك الوسائل للإمساك بها هي بالضرورة شكّاكة.

الــتحرّر مــن كــلّ صنف من العقائد وملكةُ النظر بحريّة، ينتسـب إلــى القوّة.. العاطفة الأعظم، التي هي أساس واقتدار الكينونة التي تنتمي إليها، هي أكثر تنيّراً ومع ذلك أكثر استبداداً مــنها، إذ تحتكر كلّ ذهنيتها وتصنعه في خدمتها؛ إنها تصرف فــرط التشكك المدقّق، وتعطي شجاعة إلى حدّ استخدام وسائل أثيمة؛ وفي ظروف ما تصنح قناعات.

العقيدة يمكن أن يكون أداة: إنّ كثيراً من الأشياء تُحصل عن طريق العقيدة.

العاطفة العظيمة تستخدم المعتقدات وتستغلّها، ولا تخضع لها إذ أنها تُدرك سيادتها.

بالمقــابل: الحاجة إلى الإيمان، إلى شيء مصدّق، إلى إثبات ونفي؛ "الكارليليّة" إنّما شئتم مسامحتي عن هذه الكلمة، هي حاجة ذاتيّة يمليها الضعف[1].

---

[1] توماس كارليل (1881- 1795) نشر في 4- 1833 كتاب سيرة عقلية الصمامة لعنوانيــن "الــنعم الأبدي" و"اللا الأبدي" حيث وصف فيهما طريق

إنسان الإيمان؛ المؤمن، من أي صنف كان، هو بالضرورة تابع وغير مستقلّ، إنه من لا يقدر أن يوطد ذاته كغاية، أو يوجد مقاصد مستنبطة من ذاته.

المؤمن لا ينتمي إلى ذاته، فقط يمكن أن يكون أداة، ويوجب أن يكون مستخدماً، ويحتاج إلى آخر كيما يستخدمه.

غريـــزته تمنح الشرف الأعظم للأخلاق اللا شخصيّة (إنكار الـــذات)[1]: كلّ شيء يقنعه بذلك ـ ذكاؤه، خبرته، عبثيّته. كل شـــكل من إيمان هو بذاته تعبير عن هذه اللا شخصيّة، وتنازل عن الذات.

وإذ مـــا قدّرنا كم أنّه ضروري إيجاد منظّم للعدد الأكبر[2] مـــن الـــناس، يـــربطهم ويقيّدهم من الخارج، وكم أنّ الإكراه، وبمعنى أسمى، الاستعباد، هو الظرف الوحيد والنهائي الذي في ظلّه يترعرع الإنسان ذو الإرادة الواهنة وبالأخصّ النساء: إذّاك أيضاً يُفهَم الاعتقاد والإيمان.

المؤمن ذو العقيدة يملك في عقيدته عموده الفقري.

لاقـــتداء مـــن الفلسفة الميستوفيليسيّة (الشيطانية) التجريبيّة المتشكّكة، إلى الفلسفة المتوقدة للمثالية. [P].

[1] يستخدم نيتشه تعبير Ent-selbung ويتألف من Ent التي تعطي معنى التخلي أو المعارضة لما تُلحق به، selbung وتعني الخصوصية، الذات. [P].

[2] قارن مع 57

عـــدم رؤية أشياء كثيرة، عدم الشعور بحافز البتّة، السلوك دائمـــاً واحداً من جماعة، لامتلاك رؤية متعنتة وحتميّة تجاه كلّ القيم، هذا فقط يوجد ظرفاً مناسباً لهكذا نوع من الناس.

إنّمـــا بهذا يوجد النقيض، والمقابل المعادي للإنسان الصادق الحقيقي، وللحقيقة.

ليس المؤمن حرّاً عموماً لامتلاك ضمير تجاه مسألة الحقّ أو غـــير الحـــقّ.. الصيرورة شريفاً مخلصاً في هذه النقطة يعني غرقه العاجل ودماره.

المحدوديّـــة الضيّقة المرضـــيّة لنظرته تجعل من الإنسان المؤمن متعصّباً:

"ســـافانارولا"، "لوثر"، "روسو"، "روبسبيير"، "سان سيمون"، هم النمط المعاكس للنفس المعزومة، وللروح الحرّ.

لكـــنّ تلـــك الهيئات الكبيرة لهذه الأرواح المريضة، لهؤلاء المصاريع العكريين، هي ما تُنزل تأثيراً على الجماهير الكبيرة.

المتعصّـــبون هـــم لوحـــات تصويريةَ والبشرية تؤثر رؤية الهيئات على سماع الحجج.

- 55 -

حطوة أحرى بعد في نفسيّة الاعتقاد، و"الإيمان".

منذ زمن طويل قد احدثتُ في الحسبان إذا لم تكن المعتقدات أعداءاً أعظم حطرا على الحقّ من الأكاذيب [إنساني، مفرطٌ في إنسانيته][1].

هــده المرّة أريد أن أسأل السؤال الحاسم: أيوجد في النهاية تناقضٌ بين الكذبة والعقيدة؟

كــلّ الناس يعتقدون انه يوجد. لكن، أيّ شيء لا يعتقده كلّ الناس!!

كلّ اعتقاد يمتلك تاريحه، اشكاله المسبقة، محاولاته، هفواته: إنّــه يــتحول ليصير اعتقاداً بعد زمن طويل لم يكنه، بعد زمن اطــول فــيه بالكــاد والجهد الجهيد امتلك أن يكون له وجود. كــيف؟! ألــيس ممكن أنّه حلال هذه الأشكال الحنينية للاعتقاد تتشكل كنية الكذبة؟

---

[1] انظر مثلا الفقرة 483: "أعداء الحقّ: المعتقدات هي أعداء للحقيقة أكثر قدرة هي المعاداة من الأكاذيب".

مــن حيــن لآخر توجد ببساطة حاجةٌ لتغيّر الأشخاص: مع الابن يَحول إلى عقيدة ما كان مع الأب كذبة فقط

أدعــو كذبة عدم الرغبة في رؤية شيء مرئي، واللا- إرادة لرؤيته بالطريقة التي يُرى بها: وإذا ما كانت الكذبة تتحقق تجاه شهود أو بدونهم، فإنّ هذا حلوّ من الأهميّة.

الكذبــة الأكثر شيوعاً تلك التي بها يكذب امروٌ على نفسه، الكذب على آخر هو نسبياً حالة استثنائية.

والأن، فهذا الرفض لرؤية ما هو مرئي،و عدم إرادة الرؤية له كما يُرى، هو الظرف الأساسي المهيئ لكلّ الذين يشكلون ــ بمعنى ما ــ زمرةً، وعصبة: رجل الزمرة يتحوّل ضرورةً إلى كذّاب.

إنّ المؤرخيــن الألمــان، كمــثال، مقتنعون أنّ روما كانت الاستبداد وأنّ الألمان حملوا إلى العالم روح الحريّة.

فما الفرق بين هذا المعتقد وكذبة؟

أيمكنــنا أن ندهش من أنّ كلّ المتحزبين، وحتّى المؤرخين الألمان، يملكون غريزيّاً في أفواههم الكلمات الكبيرة الأخلاقية، ومــن أن الأخلاق تحيى فقط تقريباً لأنّ رجل التحزّب من كلّ صنف تملكه ضرورة إليها في كلّ لحظة؟

((هــذه هــي عقيدتــنــا: وإننا لنجاهر بها العالم، نحن نحيى ونموت لأجلها.. الاحترام لكلّ من يملكون عقيدة)).

كلمات كهذه سمعتها حتّى من أفواه المعادين للسامية.

بالمقــابل أيّهــا الســادة، فإنّ معادٍ للسامية ليس أكثر لياقة واحتراماً لكونه يكذب بطريقة أصلية منتظمة.

إنّ الكهـنـة الذيــن في هكذا أمور هم أكثر دهاءً، ويعرفون تماماً وبشكل أفضل، التعارض الكامن في مفهوم العقيدة، يعني في الكذب الممارس بشكل منهجي، وأساساً لأنّه يلائم الغاية، قد ورثــوا مــن اليهود المقدرة ليُدخلوا في هذا الأمر فكرة "الله"، "إرادة الله" و"الوحي المقدّس". وإنّ "كانط" نفسه بأوامره القطعيّه، صودف في الحالة ذاتها، والعقل عنده عاد عمليّاً:

– ثمّـة مســائل، تقريرُ ما فيها من حقّ أو بطلان لا يُسلَّم قياده للمرء: كلّ تلك المباحث الرفيعة، كلّ تلك المشاكل السامية القــدر تكون فوق العقل البشري... إدراك حدود العقل هذه هي فقــط الفلسفة الحقيقيّة. لماذا يحمل الله الوحي إلى الإنسان؟ هل يفعل الله شيئاً نافلاً ولا حاجة له؟ الإنسان لا يقدر أن يعرف من نفســه مــا هو خير وما هو شرّ. لذلك يرشده الله إلى إرادته.. مغــزى أخلاقــي: الكاهن لا يكذب ــ السؤال عمّا هو "حقيقي" وعمّــا هــو "لا حقيقي" لا يوجد في الأشياء التي يتحدّث عنها

الكاهــن.. هــذه الأشياء لا تسمح حتّى بالكذب.. ذلك أنّه لأجل الكــذب تتوجــب القدرة على تقرير ما هو هنا الحقّ، لكن هذا بالتأكيد لا يستطيع أن يقرّره الإنسان. الكاهن هو إذاً ممثّل الله[1]

هــذا القياس الكهنوتي ليس، ولا بأيّة طريقة، يهوديٌ فقط أو مسيحيّاً:

حــقّ الكــذب والأهلـيّة لتلقي الوحي هما خاصيّتان للنوع الكهني، بمقدار ما ذاك لكهنة الانحطاط هو كذلك لكهنة الوثنيّة؛ (إنّ الوثنيين هــم أولئك الذين يقولون أجل للحياة، والله عندهم كلمة لقول أجل عظيمة لكلّ الأشياء).

التشــريع، الإرادة الإلهية، الكتاب المقدّس، الوحي، هي فقط كلمــات، تعيّــن الظــروف التــي يحصّل فيها الكاهن القدرة المتسلّطة، وبها يحافظ على قوّته. هذه المفاهيم توجد في أساس كــلّ التنظيمات الكهنوتية، وكلّ الأشكال الكهنوتيّة والفلسفة ــ الكهنوتيّة.

الكذبة المقدّسة شائعة عند "كونفوشيوس" وفي "قانون مانو"[2] وعند "محمّد" والكنيسة المسيحيّة، وليست تعوز "أفلاطون".

---

[1] كلّ هذه الفقرة سخرية مرّة متمرمرة تحكي مواقف "كانط".

[2] Manu shastras المشــرّع الهــندي في المرحلة الملحمية ذو الشهرة الأسطورية الذي ينسب إليه هذا العمل والذي شكل القاعدة القوية لعديد من النظم القانونية وسلّم القيم الأخلاقية.

"الحقيقة موجودة هنا" هذه الكلمات حيثما نُطق بها تعني: الكاهن يكذب.

- 56 -

في النهاية، جوهر الأمر يكمن في الغاية من الكذب.

واعتراضي على وسائل المسيحيّة هو أنّ هذه ينقصها تلك الغايات "المقدّسة" ثمّة فقط غايات رديئة. تسميم، افتراء، إنكار للحياة، احتقار للجسد، حط وتحقير ذاتي للنفس عبر مفهوم الخطيئة. وبمقدار سوء هذا فوسائلها مبينة وشريرة.

يحتمل فيّ الشعور النقيض عند قراءة "قانون مانو". عملٌ سامٍ وروحي لا يمكن أن يُضاهى والإشارة إليه سويّة مع التورات تكون خطيئة ضدّ الروح، وسراعاً يُحدر لماذا: لأنّه يمتلك خلفيّة من فلسفة حقيقيّة، توجد في داخله كذلك، لا أنّه يهودية نتنة، مختلطة من حاخامية "Rabinismo" وتطيّر مخادع؛ ولأنّه يعطي حتّى أولئك النفسانيين الأكثر لطفاً شيئاً يعضّونه ولا يتركهم صفر اليدين، ودون نسيان الأساس والعرق الجذري العميق تجاه كلّ صنف توراتي، الطبقات الأرستقراطية،

الفلاسفة، المحاربون هم الذين في "قانون مانو" يحكمون الشعب ويسودونه؛ عبر كلّ نظم القيم الأرستقراطيّة، وبشعور بالكفاية، وتأكيد للحياة، ومسرّة غلاّبة بالذات وبالحياة، هذا الكتاب يكون مسربلاً بالشمس ومؤتلقاً[1].

كلّ تلك الأمور التي سكبتْ فوقها المسيحيّة حطّتها التي لا يسبر لها غور، وكمثال: الإنجاب، المرأة، الزواج، تعامل هنا في "قانون مانو" بجدّيّة وتوقير، بحبٍّ وثقة.

كيف يمكن أن يوضع بين أيدي النساء والأولاد كتاب يحتوي هذه العبارة الشائنة:

((ولكن بسبب الزنا فليكن لكلّ واحد امرأته، وليكن لكلّ واحدة رجلها.. لأنّ التزوّج أصلح من التحرّق)) اكو 7: 2، 9

كيف يمكن للمرء أن يكون مسيحيّاً حين يجد أنّ أصول سلالته قد نُصّرت، هذا يعني دُنّست بمفهوم (الحبل الدنس)؟

---

[1] في كتابه كبار مفكري الهند ومذاهبهم يستشهد البرت اشفيتزر بما قاله نيتشه أعلاه ليأخذ عليه أنّه لم يفهم أنّ روح الإنكار هي التي تؤثر في هذه القوانين وينابيع. "وفي كتابه إرادة القوة كتب نيتشه يقول: في قوانين مانو يوجد نوع من السامية، أي من روح الكاهن، أسوأ ممّا يوجد في أيّ مكان آخر". لكن نيتشه يأخذ الأمر من وجهته.

لست أعرف أبداً كتاباً يجعل المرأة أهلاً لهكذا أشياء لطيفة وكريمة، ككتاب "قانون مانو".. فأولئك العجائز القديسون يتعاملون مع النساء بكياسة ولطف لم يُجاوَزا أبداً:

((فم امرأة ــ يُقرأ فيه ــ صدر صبيّة، صلاة طفل، دخان ذبيحة، هي دائماً نقيّة)) وفي مكان آخر: ((لا يوجد ما هو أكثر نقاءً من نور الشمس، ظلّ البقرة، الهواء، الماء، النار ونَفَسُ صبيّة)) عبارة أخرى لعلها أيضاً كذبة مقدّسة: ((كلّ الفتحات من فوق السرة هي طاهرة، كلّ الفتحات تحتها دنسة. فقط في صبيّة، جسدها بكليّته طاهر)).

- 57 -

عدم قداسة الوسائل المسيحية يُضبط بالجرم الجليّ عندما نُقارن الغائية المسيحيّة مع غائيّة "قانون مانو" ويوضع تحت نور قويّ هذا التباين الأقصى للغايات.

نقد المسيحيّة لا يمكنه أن يتجنّب تحقير المسيحيّة.

قانون "كقانون مانو" مؤصّل ككلّ قانون جيّد: يلخّص الخبرة، الذكاء، الأخلاق الاختبارية لقرون طويلة، يختِم ويقّن ولا يخلق قطّ.

المقدّمة القياسيّة لتقنين من هذا النوع، هو الحكم المعرفي بأنّ الوسائل الموفّرة للسلطة الذاتيّة على حقيقة محصّلة ببطء وبثمن باهظ، هي في العمق مختلفة عن تلك الوسائل التي يستطاع بها إظهار تلك الحقيقة.

ليس من تشريع يتحدث عن الفائدة، الصواب، الإقناعات الموجودة في قانون سابق له، بتوقير: إذ بهذا الفعل، سوف يخسر اللهجة الأمرية، الـ (يجب عليك)، وما يتيح له أن يكون مُطاعاً.

فالمشكلة تكمن هنا حقاً.

في نقطة معينة من تطوّر شعب فإنّ الطبقة الاجتماعية الأكثر فطنة، أي تلك التي نظرها يمتد بعمق أكبر في الماضي والمستقبل تعلن الخبرة المجرّبة التي يجب ــ يعني يمكن ــ أن يعاش وفاقا لها.

غاية هكذا طبقة جني الثمار الأكثر وفرة وغنى وكمالاً لأزمان الخبرة، وأزمان التجربة السيئة

الذي يجب بالتالي تجنبه قبل الكلّ منفعة فعل الخبرة وإطالة الحالـــة السائلة المائعة للقيم، والفحص والاختبار، ونقد القيم إلى مالا نهاية.

ولأجل هذا يُقام سوران:

ـــ الأول: الوحـــي، الذي يؤكّد بأنّ مصدر تلك الشرائع غير بشـــري، وأنها غير مستقصاة وموجدة شيئاً فشيئاً وبعد سلسلة مديـــدة مـــن الأخطاء، وإنّما ـــ كونها من مصدر إلهي ـــ هي كاملة، تامّة، بلا تاريخ، عطية، عجائبية، وببساطة هي بلاغ.

ـــ الثانـــي : التقليد، الذي هو توكيد بأن الشريعة قد تواجدت منذ أزمان قديمة، وانّ وضعها في الشكّ يعني اللا ـــ تقوى، وسيكون جريمة ضدّ الأسلاف. لقد أسست سلطة الشريعة فوق القضيتين التاليتين: الله أعطاها، والأسلاف عاشوها.

السبب الأعلى لهكذا مسلكيّة يصادف في مقصدية الرجوع ـــ شيئاً فشيئاً ـــ إلى وعي الحياة المعدودة قويمةً وحقّة (هذا يعني مطهـــرة بواســـطة تجربة جبروية واسعة، ومغربلة بشدّة) بنيّة تحصيل التسيير الذاتي المطلق للغرائز. هذا الطرف الأولي لكلّ نوع من براعة وتمام في فنّ الحياة.

وإنّ ترسـيـــيخ قـــانون على طريقة قانون مانو يعني أن تُقدَّم لشـــعب الكفاءة ليصبح معلّماً بارعاً، ليصل إلى أن يكون تامّاً،

ولـــيطمح إلى الفن الأسمى للحياة. ((لأجل هذا يجب جعله فاقد الحس والشعور)). هذه هي الغاية لكلّ كذبة مقدّسة.

نظام تمايز الطبقات الذي هو القانون الفائق والمسيطر، هو فقط التصديق على تنظيم طبيعي، وشرعية طبيعيّة من المرتبة الأولـــى، التـــي لا يملـــك فوقها أيُّ افتنات متعسّف وأيّة "فكرة حديثة" أيّةَ قدرة.

في كلّ مجتمع سليم تُميِّز وتشترط تبادلياً، ثلاثة أنماط مختلفة مـــن الأوزان النفســـيّة، وكلّ واحد من هذه يمتلك علم صحته الخاصة، ومملكته الخاصة في العمل، وشكلاً خاصاً من حساسية الكمال والبراعة. إنّها الطبيعية وليس مانو التي تفرّق في ذاتها بيـــن: الـــرجال المسيطرين عقليّاً، وأولئك المتصفين بالرجولة الجسدية، وأولئك الذين لا يملكون شيئاً لا من هذا ولا من ذاك، الأراذل. هـــؤلاء الأخيرون هم الأكثرية الكبيرة (العدد الأكبر) بينما الأولون هم المختارون.

الطـــبقة العليا ـــ والتي أدعوها "الأقليّة" ـــ كونها الأتمّ تملك كذلـــك امتـــيازات الأقلية، وفيها يتمثّل تجسيدٌ للسعادة والجمال والطيبة فوق الأرض.. فقط هؤلاء الرجال ذوي الأرواح الكبيرة يملكون الإذن للجمال والجميل: وفقط فيهم الطيبة ليست ضعفاً. الجمال امتياز الرجال القلائل.. والخير امتياز.

وبالمقابل لاشيء يلقى عندهم أدنى قبول كالأساليب القبيحة، أو نظـــرة أنانـــيّة، أو عين لوّامة، وأدنى حتّى مع ذلك الموحّدة على الهيئة العامّة للأشياء.

الحقد ميّزةُ الطبقة الحقيرة [الشاندالا]، وبذات القدر الأنانيّةُ.

((العـــالم كامل مضبوط ـ هكذا تتحدّث غريزة رجال الفكر أولاء، الغريـــزة التي تؤكد ـ وما هو غير كامل، المنحط أسفل منّا من كلّ صنف، التفاوت الطبقي، ومعاناة التفاوت، الشاندالا نفسها، تشكل كلّها مع ذلك جزءاً من هذا الكمال)).

إنّ هـــؤلاء الـــرجال ذوي الهمّـــة، بكونهـــم الأكثر عزماً، يصـــادفون ســـعادتهم هـــناك حيث لا يصادف الآخرون غير دمارهم: في المتاه، في القسوة تجاه الذات، وتجاه الآخرين، وفي المحاولة. مسرّتهم في الانتصار على نفوسهم، والتقشّف يتحول فـــيهم إلى طبيعة وإلى ضرورة، وإلى غريزة. الواجب العسير يعـــني لهـــم امتيازاً، ليتاح لهم أن يستحقوا الأحمال التي تسحق الآخرين، ويعني لهم تسلية. .والمعرفة شكلاً من تقشّف وزهد. إنهـــم الجـــنس الأكثر احتراماً بين الناس، وهذا لا ينفي كونهم الأكثر مسرّة، والأكثر لطفاً.

إنهم يحكمون لا لأنهم يتقصدون بل لأنّ هذه كينونتهم، وهم ليسوا أحراراً في أن يكونوا التالين.

أولـــئك التالون في المرتبة الثانية: هم الحرّاس على الحقّ، والمعتنون بالنظام وضمان الأمن. إنهم المحاربون النبلاء، وقبل الكـــلّ الملك المعدود صيغة عليا من المحارب، ومن القاضي، والحافظ للقانون.

التالون هم الذراع المنفّذ لمن هم أكثر ذكاءً، وهم الأكثر دنوّاً منهم، والذيـــن يحققـــون عنهم كلّ أثقال واجبات الحكم، إنهم مرافقتهم، يدهم اليمنى، وأفضل تلامذتهم.

فـــي كـــلّ هـــذا ـ أقول مرّة أخرى ـ ليس ثمّة شيء من عسف، أو اصطناع، ما هو متغيّر هو صنعي، والطبيعة (الطبع) حينها تتضـــرّر. تنظـــيم الطبقات، والزعامة، وحدها تصوغ القـــانون الأعلـــى للحـــياة نفسها، والفصل بين الطبقات الثلاث ضروري لحفظ المجتمع، ليكون ممكنا قيام أفراد راقين، ووجود رقيّ.

عدم المساواة في الحقوق هو الشرط الأول كيما توجد حقوقٌ على العموم. الحقّ هو امتياز وبحسب طريقة وجوده فإنّ كلّ واحـــد يملك امتيازه. لا نحتقرنّ حقوق الأوساط. إنّ الحياة التي تريد أن تزداد علوّاً تصير بازدياد أكثر قساوة، والبرودة تزداد، والمسؤولية تعظم. إنّ حضارة عالية هي هرمٌ. فقط يمكنها أن تنهض وترتفع فوق أرضيّة واسعة، ممتلكة لأساس اوّلي أوسط

ـــاس أقوياء وسليمي الوطادة إنّ الاعمال المكتبية، والتجارة، والزراعة، والعلم، والجزء الأكبر من الفن، وبكلمة الكليّة التامة فـــي الاختصاصات الفعلية، فقط تتوافق جيداً مع متوسّط القدرة والرغائـــب، وكـــلّ هـــذا يغـــدو فـــي غير محلّه بين الرجال الاستثنائيين، والغريزة الملائمة المختصّة ستكون متعارضة مع النبالة بمقدار ما تتعارض مع الفوضوية.

ليكون المرء نافعاً عموميّاً، عجلةً، وظيفة، يجب توفُّر طبيعة مقـــرَّرة: والذي يصنع من الرجال آلات ذكيّة ليس المجتمع بل ذلك النمط من السعادة الذي بمكنة الأغلبيّة. فمن التوفيق والحظّ الطيّـــب عـــند الوسط أن يكون وسطاً. البراعة في أمر واحد، التخصّـــص، غريـــزة طبيعيّة وسيكون أمراً غير جدير إطلاقاً بـــروح عميقة النظرْ إلى الأواسط كمعترضة في ذاتها. إنّها في طبيعتها الصيرورة الأوّلية كي يوجد أولئك المميزون؛ وحضارة رفيعة مشروطة بالأواسط. وعندما يتعامل الرجل الفذّ المميّز مع الأواسط بأنامل رقيقة بأكثر ممّا مع ذاته أو مع أمثاله، فإنّ هذا ليس دماثة قلب وكفى، وإنّما ببساطة واجبه.

من ترى أبغض بالأكثر بين العامة المحدثين، رعاع اليوم؟ إنهـــم رعـــاع علماء الاجتماع، رسلْ الشاندالا، الذين يكيدون لهم

المحـــدودة يقوّضون الغريزة والسرور والشعور بالرضى عند العامل، والذين يجعلونه حسوداً ويعلّمونه أن ينتقم.

الجور لا يوجد البتّة في الحقوق المتفاوتة، وإنّما في المطالبة بتساوي الحقوق.

مـــا هو الشرّ؟ إنّه ما قد قلته: إنّه كلّ ما يتأتّى عن الضعف، والحسد، والانتقام.

والفوضوي والمسيحي لهما الأصل ذاته.

ـ 58 ـ

حقّـــاً يوجد اختلاف يُبنى على الغاية من الكذب. فليس سواء أن يُكذب للصون، أو يُكذب للهدم.

بيـــن المســـيحي والفوضوي يمكن أن تُرسم موازاة كاملة. غايـــتهما، غريـــزتهما، ترمي فقط إلى التخريب.. ولإثبات هذه العبارة يتوجب فقط أن نُقرأ في التاريخ: إنّه يتضمّنها بوضوح مرعب ـــ لقد انتهينا من معرفة التشريع الديني الذي يمتلك غاية "تخلـــيد" تلـــك الظروف السامية التي تقوم على تنظيم المجتمع، حتى يمكن للحياة أن تزدهر.

أمّا المسيحيّة بالمقابل فقد لاقت مهمّتها التبشيريّة في وضع نهاية لهكذا تنظيم والتخلّص منه، لأنّ به تزدهر الحياة.

هناك، غلّةُ الحكمة عبر أزمان مديدة من التجارب والشكوى وجب أن تكون مستخدمة للمنفعة القصوى، والحصيلة بالغة الكبر، بالغة الغنى، بالغة الكمال، قد وجب أن تُجمع. هنا، بالعكس، المحصول يُسمّم من الصباح إلى المساء.. ما كان ((أكثر خلوداً من البرونز))[1]، أي الإمبراطورية الرومانية، التنظيم الأكثر عظمة الذي قيّض له أبداً أن يوجد تحت الظروف الصعبة، والذي بالمقارنة معه كلُّ السابقين واللاحقين يُعدُّون شطيّة، وخرافة، ومحاولة، نوى قديسو الفوضى أن يدمّروه تحت شعار الرحمة. أولئك القدّيسون الفوضويون يَعُدّون "عملاً رحيماً" تدمير العالم، وهذا يعني تدمير الإمبراطورية الرومانية حتّى لا يبقى حجرٌ فوقَ حجر، حتّى أنّ أولئك الجرمان والأجلاف الريفيين تمكّنوا من أن يسيطروا عليها.

المسيحي والفوضوي. كلاهما منحطّ، وكلاهما غير قادر أن يعمل بطريقة أخرى سوى التفسيخ والحلّ، والتسميم، وحصف الحيويّة، ومصّ الدماء؛ كلاهما مع غريزة البغضاء حتّى الموت

[1] في ختام عمل Horacio المدعوّ "odas" الكتاب الثالث،30 يقول "ما قد انتهيت من بناء نصب أكثر خلوداً من البرونز" طبعة Clásicos Exit.

لكلّ ما هو منتصب، متشامخ، ويمتلك ديمومة، ولكلّ ما يعد الحياة بمستقبل.. لقد كانت المسيحيّة مصّاص دماء الإمبراطورية الرومانيّة، وقد أفسد بين المساء والفجر العمل الواسع للرومان للفوز بأرض لأجل حضارة عظمى تمتلك الزمان. أفذلك غير مفهوم حتّى الآن؟ الإمبراطورية الرومانية التي نعرفها، تاريخ المقاطعات الرومانية التي تجعلنا كلّ مرّة نعرف أكثر: أكبر عمل فني مُعجب من طراز رفيع، كانت بدايةً فقط، وبناؤها حُسب ليكون مشهودا عبر ألفيّات؛ وحتّى اليوم لم يُشهد مثيل لهذا، ولا حتّى فُكّر بالبناء على المقياس نفسه لأجل الخلود!

هذا التنظيم كان وطيداً وراسخاً كفاية كي لأجل احتمال أباطرة سيئين.

صدف الأشخاص لا يجب أن يكون لها تدخّل وتأثير في هكذا أمور: هذا هو المبدأ الأوّل بين مبادئ كلّ عمارة عظيمة.

لكنّ هذا التنظيم لم يكن راسخا كفاية، في مواجهة جنس الفساد الأكثر فساداً، وضدّ المسيحي؛ هذه الدودة الخفيّة فلا تُرى، في الظلمة في الضباب وفي الغموض المبهم، تتسلّل مهاجمة كلّ الأشخاص ممتصّة منهم جدّهم تجاه الأمور الحقّة، وغريزتهم تجاه الوقائع هذه الزمرة الخسيسة الجبانة، المخنّثة،

والمانعة الرقّة، غربت شيئاً فشيئاً تلك "النفوس" عن تلك المدائن الهائلة– تلك العناصر الطبيعيّة القيّمة، النبيلة الرجولية التي تشعر وتحس بقضية روما كأنها قضيتها الشخصية، وجديّتها الذاتيّة، وافتخارها الخاصّ.

مراوغات المنافقين، السريّة الديريّة، ومفاهيمٌ معتمة كالجحيم وكالتضحية بالبريء وكالإتحاد السرّي في شرب الدم، وفوق الكلّ الدر المُسعرة بأناة للانتقام ـ انتقام الشاندالا ـ: هذا ما غلب روما، وهو نفس النمط الديني الذي في شكل وجود أسبق وقف مضاداً لـ "أبيقورس"[1] يقرأ "لوكريتيوس" لأجل فهم ما صارعه "أبيقورس"، والذي هو "المسيحيّة" لا الوثنيّة، أعني الفساد الروحي عبر مفهوم الخطيئة، العقاب، والخلود.

"أبيقورس" صارع العبادات السردابيّة، وكلّ المسيحيّة الكامنة. إنكار الخلود كان في هذه الحقبة تحريرا وخلاصا حقيقيّاً. وقد انتصر أبيقورس. وكلّ روح محترم في الإمبراطورية الرومانيّة كان أبيقورياً.

إذاك ظهر "بولس"... بولس الذي هو بغضاء الشاندالا متجسّدة، ومتحوّلة إلى عبقري داهية ضدّ روما، ضدّ "العالم"؛ إنه اليهودي، اليهودي الخالد بتميّز والجوّال الأبدي.

---

[1] يرفض أبيقورس أيّ تدخّل إلهي في شؤون الكون أو الإنسان [P]

لقد كان ما اكتشفه هو كيف يمكن بمساعدة حركة صغيرة مسيحيّة متعصّبة، قائمة على حافّة اليهوديّة، إشعال حريق عالمي، وكيف أنّه برمز ((الله معلّق على الصليب)) يمكن تجميع كلّ الذين هم في الأسفل، وكلّ الذين يكنّون نوايا سريّة متمرّدة، وكلّ ميراث الحركات الفوضويّة في الإمبراطورية، في قوّة هائلة. ((الخلاص يأتي من اليهود)) [انجيل يوحنا 4: 22]. المسيحيّة صيغةٌ تجاوزٍ وتفوّقٍ على العبادات السردابيّة من كلّ صنف: أوزوريس، عبادات الأم الكبرى، ميترا، كأمثلة، وتجميع احتضاري لهم. وبمعرفة هذا تقوم عبقرية "بولس"[1]. وفي هذه النقطة كانت غريزته واثقة بحيث أنّها ـ بعنف لا يلين ضدّ الحقيقة ـ وضعتْ في فم المخلّص، وليس فقط في فمه، هذا

---

[1] أوزوريس الإله المصري الصائر إلهاً سماوياً، والأمّ الكبرى سيبيل الفريجيّة التي كانت تعظم أيضاً في روما بعيدها الربيعي وتهتف الجماهير آخر يوم حاملين صورتها في موكب نصر Nostra domina، وميثرا إله فارسي انتقلت عبادته إلى أقصى تخوم الإمبراطورية الفارسية كإله للنور، وكان كهنته يقولون بحشر الناس أمامه ليحكم فيهم تلك الحالة المصاحبة لتغلغل الديانات الشرقية التي يدعوها ديورانت في الجزء الثالث من المجلد الثالث بالتيار الشرقي الجارف، غلبت روما، ونافست المسيحيّة هذه الديانات المماثلة وصار لها الغلبة، ويكفي أنّ المسيحيّة أخذت توقيت ميلاد يسوع من ديانة ميثرا وهذا ما يشير نيتشه إلى تمضيته في حديثه عن بولس.

المحلّــص المحــترع من قبله، تلك الأفكار التحيلية التي خلقت أديان الشاندالا تلك.

لقد صنع من المخلّص شيئاً يمكن أن يكون مفهوماً أيضاً من كاهن لميثرا.

هــذا مــا كانته لحظة دمشق: لقد أدرك الحاجة إلى الإيمان بــالخلود لكي يُزدرى العالم، وأنّ مفهوم "الجحيم" سوف يتحكّم بروما. وأنّه مع "الآخرة" تُقتل الحياة..

عدمــيّ، مسيحي لهما قافية واحدة[1]، لكن ليس القافية فقط، بل يسلكان الطريق نفسها.

- 59 -

كلّ عمل العالم القديم كان يبدو مُبطلاً وعبثاً. لست أصادف الكلمــة التي تعبّر عن شعوري إزاء شيء بالغ الإرعاب كهذا. وآخذاً في الحسبان أن ذلك العمل كان عملاً مهيئاً له، إذ نوعي صلب كالغرانيت، وُضعت الأسس لعمل من أجل ألفيات السنين، إنّما كلّ معنى العالم القديم قد أُبطل.

---

[1] في الألمانية الكلمتان هما Nihilist و Christ. [P]

لمــاذا أولئك اليونان؟ لأيّ شيء الرومان؟ كانت كلّ ظروف حضارة واعية وكلّ المناهج العلميّة هي الآن هنا، وقد قُرّر الفن الأعظــم الــذي لا يضاهى للقراءة الجيدة. وهذا الطرف الممهّد لتقلــيد حضــاري، لوحــدة العلم، العلم الطبيعي في تحالف مع الرياضــيات والميكانيكا، كان موضوعاً فوق الطريق الأفضل. معــنى الأعمال النهائي والأثمن بين المعاني، كانت له مدارسه وتقاليده القديمة لقرون.

هــل هذا مفهوم؟ كلّ الجوهري للشروع في العمل قد وُجد: المــناهج، ويجــب أن أقــول ذلــك عشــر مرّات، هي الأمر الجوهــري، كذلــك هــي الشيء الأكثر صعوبة، والذي يجابه مضاداً له ـ وخلال زمن طويل ـ العادة والكسل.

الــذي قــد أحررناه اليوم بموجب تغلّب هائل وسيطرة على الــذات، إذاك أننا جميعاً حتّى اليوم نحمل بطريقة ما في دمائنا الغرائــز الرديئة [المسيحيّة]، أي النظرة الحرّة إلى الواقع، اليد الحــذرة، الصبر، الجديّة تجاه أصاغر الأمور، كلّ النزاهة في المعرفة، هذا كلّه كان هنا! وقد وجد منذ قرابة ألفي سنة!

وبالإضــافة قــد وجــد اللمس والذوق الجيدين، الرفيعين. لا كــترويض للدماغ! لا كتثقيف ألماني بطرق معيّنة! إنّما كجسد، كسمة، كغريزة، وفي كلمة: كواقع.

كلّــه بــاطل!! وبين مساء وصباح، لم يبقَ سوى الذكرى! يونان! رومان! نبالة الغرائز، الذوق، البحث المنهجي، عبقرية التنظــيم والإدارة، الإيمــان بمســتقبل الإنسان، والعزم لأجله، التوكــيد الكبير لكلّ الأشياء، جميع الأشياء التي تحسّها الحواس كلّهــا، كالإمــبراطورية الرومانــية، النمط العظيم لا فقط كفن محــض، وإنّمــا متحوّلا إلى واقع وحقيقة وحياة، هذا كلّه بين مســاء وصباح بات مدفونا لا بفعل كارثة طبيعيّة! وموطوءاً لا من قبل الجرمان أو الأجلاف الآخرين! وإنما.. مفككا بمصاص للدماء مراوغ، كامن، غير منظور، ومفتقر إلى الدم!

لم يُغلب، فقط مستنزفاً!

الميل الخفيّ للانتقام والحسد الصغير تحوّل إلى سيد! كلّ ما هو بائس، ما هو معانٍ في ذاته، ومبتلي بالشعور الرديء، كلّ عالم الجيتو Gueto النفسي، بضربة صار في الأعلى!

فلــيُقرأ فقــط أيّ محرور مسيحي، مثل *سان أوغسطينوس*، مثلاً، وسيفهم ويُحسّ أيّ أناس ملوّثين صاروا في الأعلى.

إننــا لــنخدع أنفسنا إمّا اعتقدنا أنّ قادة الحركة المسيحيّة قد نقصــهم الفهم: آه! كانوا حاذقين، حاذقين حتّى القداسة، أولئك الســادة آبــاء الكنيســة! إنّ مــا ينقصهم كان أمراً آخر شديد الاخــتلاف. الطبــيعة لم تكن كريمة معهم وأهملتهم، نسيت أن

تــزوّدهم بهــبة متواضــعة من فطرة تستحق الاحترام، لائقة محتشمة، ونظيفة..

الكلام فيما بيننا: ولا حتّى هم رجال..

إنّ الإسلام لدى احتقاره المسيحيّة يمتلك ألف مرّة الحقّ بأن يفعل ذلك:

إذ الإسلام يتطلّب الرجال.

- 60 -

لقد حرمتنا المسيحيّة من مجاني الحضارة القديمة، وفيما بعد حرمتنا من ثمار حضارة الإسلام.

العــالم العرفاني لحضارة العرب في إسبانيا، والذي هو في الأساس أكثر قرباً إلينا من روما واليونان، والذي يتناسب أكثر مع شعورنا وذوقنا، قد غُمر — ولست أقول بأية أقدام — لماذا؟ لأنّــه صــدر، لأنّــه دان بمولــده لغرائز أرستقراطيّة، لغرائز

رجولية، لأنّه أكّد الحياة بما فيه من الغنى النادر والمهذب للحياة الأندلسيّة[1].

الصليبيّون حاربوا في زمن آخر ضدّ أمر كان عليهم أن يرتموا أمامه فوق التراب: حضارة تجاهها حتّى قرننا التاسع عشر يبدو بالغ الفقر، بالغ التأخّر. طبعاً الصليبيون تطلعوا للقيام بتمرّد: والشرق كان غنيًا.

هلاّ نكن غير متحيّزين؟! إذاً فالصليبيون كانوا قرصنة رفيعة لا أكثر!

النبالة الألمانية، التي هي أصلاً نبالة فايكنغ، كانت في بيئتها الملائمة مع الحملات الصليبيّة: لقد عرفت الكنيسة تماماً كيف تربح النبالة الألمانية... النبالة الألمانية، التي كانت دائماً ما كانه السويسريون، مرتزقة الكنيسة، الخادمين دائماً لغرائزها السيئة، إنمّا المأجورين جيداً.. بالتأكيد بمساعدة السيوف الجرمانيّة، وبالدم والشجاعة الجرمانيّة، أقامت الكنيسة حرباً مستميتة ضدّ كلّ نبالة موجودة فوق الأرض.

حول هذه النقطة، ثمة مقدار من الأسئلة المؤلمة.

---

[1] مسا بعـرفه نيتشـه عن الإسلام منبعه يوليوس ويلهاوزن: بقايا الوثنية العربيـة 1887 وأوغسـت موللـر: الإسلام في الشرق والغرب – برلين 885، [P] .

النبالة الألمانية لولا قليل لبقيت معيبة من تاريخ الحضارة الراقية. ويمكن أن يُخمّن السبب: المسيحية والكحول، هاتان الوسيلتان الكبيرتان للفساد.

هنا لم يكن ثمة شكوك في الاتجاه الذي يُتخذ، لا بين الإسلام والمسيحية، ولا بالأولى بين عربي ويهودي. القرار قد اتُّخذ، ولا أحد هنا حرّ في اختياره. إمّا أن يكون شاندالا أو لا يكون شاندالا. ((حربٌ بلا هوادة على روما[1]، سلام وصداقة مع الإسلام)) هكذا فكّر، وهكذا فعل ذلك الروح الكبير الحرّ، العبقري بين الأباطرة الألمان: *"فريدريك الثاني"*.

كيف؟ أيكون أنّ ألمانياً عليه أن يكون أوّلاً عبقريًا، مفكّراً حرّاً، للشعور بطريقة لائقة؟ لست أفهم كيف أنّ ألمانياً يمكن أيضاً أن يمتلك مشاعر مسيحيّة.

- 61 -

هنا من الضروري ملامسة ذكرى هي مئة مرّة أكثر إيلاماً للألمان. إنّ الألمان قد حرموا أوروبا الحصاد الأخير الأكبر،

---

[1] روما البابوية

المحصــول الأخـير الــذي أنتجته أوروبا، محصول النهضة. أفيُعرف بسهولة، إمّا أريد ذلك، ما كانته النهضة؟ كانت تحويلاً فــي القــيم المسيحيّة، كانت محاولة مُقدمٌ عليها بكل الوسائل، مستعارٌ لأجلها بكلّ الغرائز، وبكلّ عبقريّة، لحمل القيم المعاكسة والقيم النبيلة إلى ملء غلبتها.

حــتى الســاعة لم يوجد ما يربو على هذه الحرب العظمى، وحــتّى الســاعة لــم توجد مسألة أكثر إلحاحا من التي أقامتها النهضة؛ ومشكلتي هي مشكلتها...

لــم يوجــد بالمــرّة كذلــك أيّ شكل من الهجوم أكثر عمقاً وتنظيماً، أكثر مقصداً وتوجها مستقيما، أكثر صلابة غير مقيّدة، فــوق كلّ الجبهة كما ضدّ المركز.. الهجوم في المكان الحسم، فــي مقــرّ المســيحيّة نفســها، وحملُ القيم النبيلة إلى العرش (عرشــها)، أريــد أن أقــول: إعــلاء تلك القيم الأرستقراطية وتعظيمها، وتطعيم تلك الغرائز والضرورات العميقة والرغائب الأساسية لمن يحتلون مقرّها، بها.

أرى أمامــي إمكانيّة سحر وفتنة لا توصف، وتبدو لي تلك الإمكانية متلألئة بكلّ ارتعاشات الجمال المصفّى، وفيها يعملُ فنٌ بــالغ القداســة، بــالغُ شيطانيّة القداسة، بحيث عبثا يُبحث عبر ألفيات السنين عن إمكانية ثانية مثل هذه.

أرى مشــهداً مليئاً بالمعنى، وفي الوقت ذاته، شاذاً متناقضاً بطــريقة غرائبيّة، بحيث كلّ آلهة الأولمب امتلكت دافعاً لتنفجر في قهقهة خالدة: قيصر بورجيا Cesar Borgia بابا!

هــل أنا مفهوم؟ حسنٌ إذاً.. هذا كان الانتصار الذي أرغب فــيه وحــده اليوم: وبه بقيت المسيحيّة مغلوبة ومُتجاوزة. ماذا حصــل؟! راهــبٌ ألمانــي يدعى لوثر، ذهب إلى روما، هذا الراهب، الذي يحمل في جسده كلّ غرائز الانتقام لكاهن مصاب بــالحوادث ومخيَّــب، ثار في روما ضدّ النهضة... وبدلاً من التفهّم، مع الشكر العميق، للحوادث الهائلة التي وقعت، ولتجاوز المسيحيّة في مقرّها، فإنّ كراهيته وبغضاء استخرجت فقط من هذا المشهد غذاءها الخاص.. رجل ديني، فقط يفكّر في نفسه.. رأى لوثــر فساد البابوية، بينما المقابل كان بالتأكيد في متناول اليد:

إن الفساد القديم، والخطيئة الأصلية [Peccatum original]، والمسيحيّة، لم تعد بعد متربعةً على العرش البابوي! إنما الحياة والانتصــار للحــياة، والقــول بالإيجــاب لكلّ الأشياء الرفيعة والجميلة والمقدامة.

ولوثــر.. أصــلح الكنيسة مجدداً: أي هاجمها؛ والنهضة! واقعــةٌ بــلا معنى وجهد باطل! آه من هؤلاء الألمان كم أثقلو

علينا! جعلُ كلّ شيء باطلاً، هذا كان دائماً دأب الألمان. الإصلاح، "ليبنز" "كانط" وما يُدعى فلسفة ألمانية، ومعارك التحرر[1] والرايخ كلّ مرّة تُبطِلُ شيئاً قد تحقّق وأمراً لا يمكن الرجوع عنه.

أولئك الألمان هم أعدائي، وأنا أجاهر بذلك: أحقّر فيهم كلّ شكل من قذارة المفاهيم والقيم، وكونها غير نظيفة، كلّ شكل من جبن تجاه كلّ نعم مشرقة أو لا.

خلال ما يقرب من ألف سنة شوشوا كلّ ما لمسته أيديهم. وما يملكون في ضمائرهم غير أنصاف التشكيلات، ولا حتّى، بل كلّ نقص وثلاثة أجزاء من ثمانية، كلّ تلك الأشياء التي منها أوروبا مريضة.

كذلك هم آثمون من النوع الأكثر وساخة في المسيحيّة ممّا قد وجد، الأكثر عدم قابليّة للشفاء والذي لا يُرَدّ: البروتستانتيّة.

إذا لم يتم التخلص من المسيحية، فإن الألمان سيحملون الخطيئة.

---

[1] هي معارك الاستقلال التي جرت في ألمانيا بين 1813 و1815 التحرّر من السيطرة النابليونية [P].

- 62 -

بهذا أكون قد وصلت إلى النهاية فأعبّر عن حكمي.

أنا أدين المسيحيّة وأرفع ضدّ الكنيسة المسيحيّة الاتّهامات الأكثر ترويعاً التي قيّض لمتهِم أبداً أن يحملها في فمه.

إنّها عندي الفساد الأكبر بين كلّ ما يمكن تخيّله من فساد، إنّها قد ملكت إرادة الوصول إلى الغاية الأخيرة الممكنة من الفساد.

الكنيسة المسيحيّة لم تَدَع شيئاً دون أن تلمسه بفسادها، كلّ قيمة حوّلتها إلى لا قيمة، وكلّ حقيقة إلى كذب، وكلّ أمر مشرّف إلى حطّة للروح. أفيتجاسر أحد مع ذلك ويكلمني عن بركاتها "الإنسانيّة".

تجاوز أيّ بؤس هو أمر مضادّ لمصلحتها الأبعد غوراً: لقد عاشت على حالة الحاجة والبؤس، وخلقت البؤس لتكون مؤبّدة.. وكمثال، دودة الخطيئة: الكنيسة بهذه النكبة أغنت البشريّة!!

((المساواة بين النفوس تجاه الله)) هذا الزيف، هذه الحجة التي هي حجة الضاغنين الأكثر حطّة، هذا المفهوم البالغ الانفجارية الذي قد تحول أخيراً إلى ثورة، والفكرة الحديثة

والأساسية للانحطاط في كلّ النظام الاجتماعي، هي ديناميت مسيحي.

البركات "الإنسانية" للمسيحيّة! هذا عمل من "الإنسانية" تناقضاً ذاتيّاً، وفن احتقار ذاتيّ، وإرادة تكذيب أيّة قيمة، وتحقيراً ونفوراً ضد كلّ الدوافع الجيدة والشريفة.

هذه هي عندي بركات المسيحيّة!

التطفل هو الممارسة العمليّة الوحيدة للكنيسة! الكنيسة بأفكارها ذات اليرقان وفقر الدم والقداسة، التي تنغب حتّى الأخير كلّ دم، كلّ أمل، وكلّ محبة في الحياة، والآخرة كإرادة إنكار للواقع؛ والصلبُ كعلامة تعريف للمؤامرة الأكثر ديماسيّة على غرارٍ لم يوجد مثيله قطّ: تُضادُّ الصحّة والجمال والإتقان، والإقدام، والهمّة، وكرم النفس؛ تضادّ الحياة ذاتها.

هذا الاتّهام الأبدي ضد المسيحيّة أريد أن أكتبه فوق كل الجدران، حيث توجد جدران؛ فأنا أملك حروفاً مرئية حتّى من العميان.

إنني أدعو المسيحيّة اللعنة الكبيرة الوحيدة، الشذوذ الباطني الأكبر والوحيد، والغريزة الأكثر تفرّداً للانتقام، الذي لأجله ليس ثمّة أداة سامّة كفاية، خفيّة، سردابيّة، لئيمة، مثلها.

إنني أدعوها اللطخة الأبدية فوق البشريّة.

يُحسب الزمن انطلاقاً منذ يوم النحس الذي به بدأ ذلك الشؤم؛ منذ اليوم الأوّل للمسيحيّة. لماذا، وهو الأفضل، لا يحسب منذ آخر يوم لها؟ أيكون منذ اليوم؟ التحويل في جميع القيم!

تشريع ضدّ المسيحيّة[1]

أعطـي فـي يوم الخلاص، في اليوم الأوّل للعام واحد (30 سبتمبر من عام 1888 من التقويم الزائف)

حربٌ حتّى الموت ضدّ الرذيلة، والرذيلة هي المسيحيّة.

البند الأوّل: رذيلٌ كلّ نوع ضدّ الطبيعة؛ النوع الأكثر رذيلة بيـن البشر هو الكاهن، إنّه يعظ بمضـادّة الطبيعة. وضدّ الكاهن لا يُتعامل بالحقوق، بل بالسجن.

[1] مقدّمة شفق الأوثان يذيلها نيتشه هكذا: تورينو 30 سبتمبر 1888 اليوم الذي تمّ فيه الكتاب الأوّل من قلب جميع القيم". إنّه ذات اليوم المذكور هنا. ونفـس العـبارة فـي نهايـة هذا الكتاب آنفاً: "قلب جميع القيم". إنّها فترة محمومـة الاندفـاع كتـب فيها نيتشه كتب حملته النهائيّة على المسيحيّة. خريف وشتاء 1888 في تورينو. انهار في يناير 1889 وتوفي 1900.

البند الثاني: كلّ مشاركة في خدمة إلهيّة هو تعدٍ على الأخلاق العامّة. يتوجّب التشدّد والقسوة ضد البروتستانتيين أكثر مما ضدّ الكاثوليكيين. فما في الكينونة مسيحيّاً من جنوح جريمي ينمو بمقدار الدنوّ من العلم. أكثر الجانحين جرماً، بهذا، هو الفيلسوف.

البند الثالث: المكان اللعين، حيث حضنت المسيحيّة بيوض الأفاعي ذات النظرات المميتة سيكون مدمّراً ومُسوّى بالأرض؛ وكمكان دنس في الأرض، سيكون فزعاً للأنسال الآتية كلّها، وسيكون ثمّة أفاعٍ سامة تربو فوقه.

البند الرابع: الوعظ بالعفّة هو تحريض عمومي لمضادّة الطبيعة. كلّ احتقار للحياة الجنسيّة، كلّ تدنيس مضادّ للذات عبر مفهوم "اللا نقي" "الدنس" هو خطيئة أصلية ضدّ الروح المقدّس للحياة.

البند الخامس: تناول الطعام فوق مائدة واحدة مع كاهن يسبب الطرد: معه سيحرم المرء نفسه من المجتمع الشريف. الكاهن هو طبقتنا المنحطّة "الشاندالا" ويجب أن يكون مُبعداً محظوراً، ميتاً من الجوع، منفياً إلى أي قفرٍ كان.

البند السادس: التاريخ "المقدّس" يجب أن يلقّب بالاسم الذي يستحقّه: تاريخ ملعون.

وكلمة "الله"، "المخلّص"، "الفادي"، "قديس" تستعمل كسُبّة، كتمييز للمجرمين.

البند السابع: البقيّة تستنبط من هنا.

"الأنتي كريستو"